جامعة طنطا

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

بلاغة السّرد القصصي

في القرآن الكريم

بحث مقدم من

محمد مشرف خضر

المدرس المساعد بقسم اللغة العربية

لنيل درجة الدكتوراه في الآداب

إشراف

الأستاذ الدكتور

عبد الرحيم محمود زلط

أستاذ الأدب العربي

بكلية الآداب. جامعة طنطا

الأستاذ الدكتور

محمد عبد المطلب مصطفى

أستاذ النقد الأدبي والبلاغة

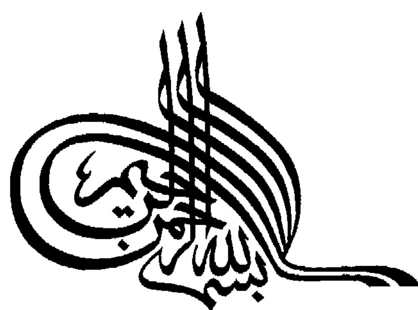
بكلية الآداب. جامعة عين شمس

الأستاذ الدكتور

مختار جبلي

أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة باريس ١٠

ومدير أبحاث بجامعة السربون الجديدة



مقدمة

البحث عن الخصائص المميزة للقصص القرآنى ، هاجس قديم ، لم يتركنى قط ، إلا وتملكنى من جديد ؛ كلما مرت بى قصة من القرآن ، أشرعت قلمى متحفزا ، ثم سرعان ما يذهب الحماس مع الكلمات الأولى ، التى لاتنبئ بجديد غير ما قدم الآخرون . وكنت مقتنعا دائما بضرورة تغيير منهج النظر فى القصة القرآنية ، ليؤتى بنتائج جديدة ، لن تكون هى الأخرى غير اجتهادات تنضاف إلى غيرها ، ولما كان المنهج السائد فى هذا الصدد هو المنهج الانطباعى ، الذى يحاول الباحث من خلاله تفسير مشاعره تجاه القصة ، أو تقديم انطباعاته حولها ، مما يوقع - كما يقول الدكتور محمد عبد المطلب - فى خطر التعامل مع النص بما عند المتلقى لا بما فى النص (مناورات الشعرية ص:١١) ؛ فكان التغيير يعنى إيجاد منهج مغاير فى طبيعته للمنهج السائد ، منهج لايعطى انطباعات ذاتية ، بقدر ما يقدم من حقائق علمية ؛ منهج يتعامل مع النص من خلال معطياته الداخلية ، قبل أن يقحم عليه مقاييس غريبة عنه .

وكان هذا كله ينطبق على المنهج البنيوى ، منذ بداياته لدى الشكليين الروس Les Formalistes Russes الذين تحدثوا فى شروط الأدبية ، متسائلين عما يجعل من عمل ما عملا أدبيا ، ودارت من ثم دراسات كثيرة حول هذا المحور ، لكنها لم تكتمل إلا فى منتصف الستينيات تقريبا مع الشكلية الجديدة ، التى تتجلى فى مجموعة المقالات المهمة التى تضمنها العدد الثامن من مجلة Communication وكان صدوره فى فرنسا عام ١٩٦٦ يمثل فتحا جديدا فى مجال الدراسات الأدبية ، وبعثا لروح الدعوة القديمة (لدى الشكليين) إلى الدراسة العلمية للأدب ، ومنذ ذلك الحين بدأ العمل حثيثا من أجل الوصول إلى منهج علمى صارم ، تخضع له الأعمال الأدبية ، وتُرى من خلاله ؛ ولكن الأدب بطبيعته يرفض الخضوع لصرامة منهج أيا كان ؛ فكانت تلك الدراسات تمثل اجتهادات متناثرة ، يجمع بينها الاهتمام الواضح بالبنية النصية للحكى .

وتستمر الاجتهادات ، ولكنها هذه المرة تسعى نحو هدف آخر ؛ هو التخلص من الصرامة العلمية التى سادت مع الشكلية الجديدة (البنيوية) ومع بداية السبعينيات ظهرت نتائج محققة فى هذا الصدد ، وبدأ الحديث عن الشعرية La poétique التى تهتم بجماليات الإبداع الأدبى ، وتلغى الحد الفاصل بين البنية ومحتواها ، وظهرت أعمال فى تحليل الخطاب السردى ، تُعنى بدراسة كيفية ظهور مكونات النص ، وخصائصها المميزة ، التى يتميز من خلالها عمل أدبى عن آخر ، هذه الأعمال تجتمع لتكون ما يمكن أن نسميه بالمنهج السردى البنيوى ؛ لاهتمامها بتحليل السرد من ناحية ، ولقيامها على المنهج البنيوى من ناحية أخرى .

ورأيت أن هذا المنهج فى صورته تلك ، ونظرا لاعتماده الأساسى على وصف مكونات العمل الأدبى - هو منهج ملائم لتلك الرغبة الملحة فى دراسة القصة القرآنية ؛ بخاصة وأنه لا يصادر أدبية العمل ، مما يفتح المجال (المحدود بطبيعة الحال) أمام الانطباعات الذاتية للظهور ؛ وكانت المرحلة التى استقر عليها المنهج لدى كل من Todorov و Genette من العوامل التى حفزتنى على الشروع فى هذا البحث " **بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم** " .

وحين بدأت العمل ، كان فى ذهنى خاطر واحد ، هو : البحث عن الخصائص الأدبية الكامنة فى النص القصصى القرآنى ، باعتباره نصا أدبيا فحسب ؛ أحاسبه على هذا الأساس ، وأشتغل عليه من هذا المنطلق ؛ لكننى أبدا لم أفلح فى هذا ، ولم أوفق إليه ؛ كانت هناك دائما منطقة مقدسة ، عندما أصل إليها لا أستطيع التحرك ؛ أتوقف ، وأستغفر الله ؛ وأعود لأبدأ من جديد .

وإذا كانت الشعرية تلغى الحد الفاصل بين النص ومحتواه ، فإننا فى هذا البحث سنفصل بينهما فى محاولة لفهم تلك الوحدة فى العمل الأدبى ، الذى نتناوله من خلال مظهريه : من حيث هو قصة ، ومن حيث هو قول أو خطاب .

وهكذا فقد جاء البحث فى قسمين أساسيين ، درسنا فى القسم الأول : القصة القرآنية بوصفها متنا حكائيا ، بما يعنى مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها ، وتمثل مادة أولية للحكاية الواقعة من أشخاص ؛ وكان هذا يتطلب منا أن نعود إلى أوائل هذا القرن ، لنراجع مع " فلاديمير بروب " منهجه فى دراسة القصة ، بدءا من ضرورة الاعتماد على بنائها الداخلى ، وانتهاء إلى ما كان يطمح فى الوصول إليه ، من وصف للحكاية وفق مكوناتها الأساسية ، وعلاقة هذه المكونات ببعضها من ناحية ، وأحدها بالآخر من ناحية أخرى . ودراسة المتن الحكائى تدور حول محورين : المحور الأول - الأحداث ، التى احتفظنا لها بتسمية بروب " الوظائف " أى الأفعال التى تقوم بها الشخصيات ؛ والمحور الثانى - الشخصيات التى تقوم بهذه الأحداث أوتؤدى هذه الوظائف ، وما بينها من علاقات ، ودوافع تدفعها إلى فعل ما تفعل .

وحين بدأت فى تجميع الوظائف وتفصيلها ، ربما كان هدفى من وراء ذلك هو الوصول إلى تركيب نهائى تتماهى فيه تلك الوظائف لتنتج القصة الكاملة من خلال متتاليات الوظائف المختلفة ، ولكن النتيجة كانت على غير ما توقعت ؛ فجاءت كل متتالية وظيفية تعطى قصة وحدها ، يختلف هدفها عن غيرها من المتتاليات الوظيفية ، فكان من المستحيل أن نعيد توزيع الوظائف ، بعد أن نخرجها من سلاسلها لنجعل منها قصة مكتملة كما كنت أتوقع ، فإن الأمر هكذا يصبح ضربا من السذاجة ، ومن ثم فقد اكتفيت فى الفصل الأول من البحث بأن أحدد هدف كل متتالية وظيفية ، معتبرا استقلاليتها ، وكان اختلاف تلك الأهداف مؤشرا واضحا على تغير قصدية القصة من سياق إلى آخر .

وفى القسم الثانى ، درسنا القصة القرآنية بوصفها خطابا ، ذا شكل خاص يتوجه به سارد إلى مسرود له . وقد تناولنا هذه الخصوصية من خلال المنظومة الثلاثية : الزمن ، والصيغة ، والرؤية السردية ؛ حيث تنشأ خصوصية الزمن من العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب ؛

وخصوصية الصيغة من الشكل الذى يأخذه التنوع الخطابى فى النص ؛ وخصوصية الرؤية السردية من العلاقة بين المتكلم والنص .

وفى طول الدراسة كان عملنا منصبا على القصة القرآنية فى شكلها الأساسى ، كما وردت فى الكتاب الكريم ، أما ما سوى ذلك من تأويلات مختلفة حفلت بها كتب التفاسير ، فلم يكن لنا به إلا علاقة الاستضاءة فحسب ، وهذا لايعنى بحال أننا أهملنا تلك الكتب ، بل على العكس كانت أمامنا دائما ، خشية الوقوع فى دائرة الخطأ التى حذرنا منها رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، حيث قال فيما يرويه الترمذى : " مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ " وكان اعتمادنا فى الأساس على : تفسير القرآن العظيم ، وقصص الأنبياء لابن كثير ، والتفسير الكبير للرازى ، وروح المعانى للألوسى ، والكشاف للزمخشرى ، والظلال لسيد قطب ، والأساس فى التفسير لسعيد حوّى ... ولكن طبيعة البحث كانت تفرض علينا دائما العودة إلى النص القرآنى ؛ فهو بحث فى بنية القصة القرآنية ، يبدأ منها وينتهى إليها ؛ محاولا ـ قدر إمكانه ـ تقديم وصف دقيق لها ، من خلال اعتماده على آليات البحث السردى .

وبعد فالحمد لله أولاً وآخراً ، ونرجو لهذا البحث أن يكون خالصا له وحده ، ونستغفره من زلة وقعنا فيها بغير قصد ، ونتوب إليه .

ويبقى أن ننسب الفضل إلى أهله ؛ فنقول إن حسنات هذا البحث ، إن لم أسئ أنا إليها ، كانت بفضل توجيهات أساتذتى الذين أشرفوا على هذا البحث ، ورعوه ، ورافقوه خطوة فخطوة منذ ميلاده حتى استوائه : الأستاذ الدكتور عبدالرحيم زلط ، والأستاذ الدكتور مختار جبلى ، والأستاذ الدكتور محمد عبد المطلب

تمهيد

" بلاغة السرد القصصى فى القرآن الكريم " بحث فى القصة القرآنية التى حظيت بدراسات لاحصر لها ، وأنا إذ أتصدى لهذا البحث آمل أن أقدم جديدا ؛ وفى سبيل ذلك كان ثم هاجسان : الأول - استيعاب المنهج السردى البنيوى ، والآخر - هو التعامل مع النص القرآنى .

فمنذ عهد قريب جدا بدأنا نسمع عن بلاغة السرد ، وبدأت منذ ذلك الحين بعض دراسات تظهر على استحياء متوسلة بهذا المنهج ، الذى هو وريث شرعى للبنيوية التى طغت فيها الصرامة العلمية على الروح الأدبية ؛ فكانت الشعرية La poétique من ثم تمثل عودة محمودة نحو الأدبية ، أو البحث فى جماليات النص الأدبى .

وتعود نشأة الشعرية إلى بدايات هذا القرن ، حين نادى بها الشكليون الروس علما جديدا للأدب ، موضوعه هو أدبية الأدب ، أو ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا على حد قول جاكوبسون ([١]) . وقد اجتهد الشكليون فى البحث عن الأنساق البنيوية فى الحكاية ؛ مثال ذلك ما فعله " بروب " فى كتابه " مورفولوجيا الحكاية الخرافية " ([٢]) الذى درس فيه الحكاية اعتمادا على بنائها الداخلى ؛ بتفكيك بنيتها ، واستنباط العلاقات التى تربط مختلف

---

(١) Roman Jakobson, Huit questions de poétique, tr. Fr. Paris, Ed. du Seuil, coll. Points, 1977,P.16
وانظر فى تعريف الشعرية :
محمد عبد المطلب : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى ، القاهرة ، لونجمان ، ١٩٩٥، ص: ٨٩

(٢) يمثل هذا العمل ذروة إنجازات البحث الشكلى ، وواحدا من أكثر المساهمات الشكلية فعالية فى نظرية الأدب القصصى . انظر Paul Perron : فى مقاله : السردية : حدود المفهوم ، ترجمة عبد الله إبراهيم ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد الثانى ، السنة ١٢ ، ١٩٩٢ ، ص: ٢٧ ، وفى العدد نفسه : Roger Silverstone فى مقاله : فى السرد (من وجهة نظر بروب وغريماس وليفى شتراوس) ترجمة كاظم سعد الدين . ويعقد Jean-Michel Adam فصلا فى كتابه Le récit يتحدث فيه عن تأثير كتاب بروب فى المسار المعرفى الغربى ، وذلك منذ ظهور أول ترجمة له فى أمريكا بعد ثلاثين عاما من تأليف صاحبه له . انظر ص: ٥ - ٨ ، ٢٤ - ٢٩ .

الوظائف الحكائية فى مسار قصصى معين ؛ ومن ثم استنتج ما سماه المثال ، أو النموذج الوظيفى ؛ حيث رأى أن الحكاية تحتوى على عناصر ثابتة هى أفعال الشخصيات ، أو الوظائف التى تقوم بها ، وأخرى متغيرة هى أسماء وأوصاف تلك الشخصيات ؛ أما الوظائف فهى المهمة ، وهى التى تمنحنا فى النهاية البنية الوظيفية للحكاية ، أو النموذج الوظيفى ؛ وأما أسماء وأوصاف الشخصيات فتأثيرها هامشى ؛ المهم هو ما تقوم به الشخصية ، لا الشخصية نفسها .

وقريب من ذلك نجد تمييز " توماشفسكى " - المهم جدا - فى العمل الحكائى بين ما سماه بالمتن الحكائى ، والمبنى الحكائى ، حيث يسمى " متنا حكائيا مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها ، والتى يقع إخبارنا بها خلال العمل .... وفى مقابل المتن الحكائى ، يوجد المبنى الحكائى الذى يتألف من نفس الأحداث بيد أنه يراعى نظام ظهورها فى العمل كما يراعى ما يتبعها من معلومات " [٣].

وسوف يتضح لنا مدى أهمية هذا التمييز الذى وضعه توماشفسكى بين المتن الحكائى والمبنى الحكائى حين نصل إلى السردية المعاصرة ، أوحين نأخذ فى التحليل السردى للقصص القرآنى ، حيث يمثل التمييز بين المتن الحكائى والمبنى الحكائى فى القصة مرتكزا أساسيا لايمكن للبحث أن يقوم بدونه .

ومنذ ذلك الحين بدأ ما يمكن أن نسميه الدراسة العلمية للأدب ، لكن لم يكتب لها الاستمرار - لأسباب سياسية ، ترجع إلى علاقة الشكليين بالسلطة الروسية آنذاك - إلى أن جاء البنيويون فى منتصف القرن ، فأخذوا تراث الشكليين وظلوا به إلى أن وصل على

---

(٣) نظرية المنهج الشكلى : نصوص الشكلانيين الروس . ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ١٩٨٢ ، ص : ١٧٩ .

أيديهم ، فى وقت قصير جدا ، إلى مكانة ربما لم يكن يحلم بها أصحابه أنفسهم ؛ يتجلى هذا فى العدد الثامن من مجلة Communication سنة ١٩٦٦ الذى يضم أسماء مثل Barthes و Todorov و Genette .... فنرى " Barthes " فى مقاله " مدخل إلى التحليل البنيوى للنصوص " يستعيد عمل " بروب " ويعتمد عليه فى مستوى الوظائف الذى اقترحه ضمن مستويات تحليل السرد ؛ فيقول : " ونقترح للتمييز فى العمل السردى بين مستويات ثلاثة من الوصف : مستوى الوظائف (بالمعنى الذى يعطيه كل من بروب و Bremond للكلمة) ومستوى الأفعال (بالمعنى الذى يعطيه لها Greimas عندما يتحدث عن الأشخاص بوصفها فواعل) ومستوى السرد الذى يمثله مستوى الخطاب عند Todorov " (٤) والوظائف عند Barthes على طبقتين : توزيعية Unités distributionnelles وهى تتوافق مع وظائف " بروب " التى أعاد Bremond استخدامها حديثا ، وهذا النوع يحتفظ له Barthes باسم " الوظائف " وهناك أخرى إدماجية Unités intégratives وهى وحدات معنوية ؛ لأنها - كما يقول - تحيل على مدلول وليس على فعل ، ومن ثم فلا تحتاج فى إدراك دورها إلى فعل لاحق ، وهى على العكس من الأولى تكثر فى أنماط السرد الأكثر تعقيدا ، بينما الأولى فتكثر فى الحكايات الشعبية (٥) . وعلى عكس " بروب " يرى Barthes أن التسلسل المنطقى - لا الزمنى - بين الوظائف ، والوحدات الحكائية هو الذى ينبغى أن يكون الأداة الحقيقية لدراسة تركيب الحكى (٦).

و نجد " Todorov " معتمدا على تمييز توماشفسكى السابق بين المتن ، والمبنى فى العمل الحكائى ، يميز هو الآخر بين القصة ، والخطاب ، ويرى أنه لفهم وحدة العمل ذاتها

---

(٤) Roland Barthes, Introduction à L'analyse structurale des récits , Paris , éd .du Seuil, coll.Points,1981,P.12
(٥) Ibid.P.14
(٦) Ibid.P.18

ينبغى عزل هذين المظهرين ، والبحث فى مكونات كل منهما ؛ فدراسة السرد من حيث هو قصة تعنى دراسة منطق الأفعال الروائية ؛ إذ إن تتالى الأفعال لايكون اعتباطيا فى سرد ما ، إنما يخضع لمنطق معين (٧) ، فينبغى البحث عن هذا المنطق . وهذه الأفعال تقوم بها شخصيات ينبغى كذلك دراسة العلاقات فيما بينها . أما السرد بوصفه خطابا فيفرق Todorov طرائق الخطاب بين مجموعات ثلاث : زمن السرد الذى يعنى البحث عن العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب ؛ ومظاهر السرد أو الكيفية التى تدرك بها القصة من طرف السارد ؛ وصيغ السرد التى تتوقف على نوعية الخطاب المستعمل من قبل السارد فى نقل القصة (٨). وبذلك ساهم فى تحقيق البرنامج الطموح للشعرية الجديدة المتمثل فى التوصل إلى تصنيف مجرد لمقولات ثابتة للسرد (٩) .

وكذلك " Genette " لايبعد كثيرا عما فعل " Todorov " من اعتماد على تراث الشكليين الروس ، و " توماشفسكى " بخاصة ، مستعينا كذلك بتمييز " بنفنيست " بين القصة والخطاب ، لوضع نظريته فى تحليل السرد التى يتضمنها كتابه " خطاب الحكاية " فيبدأ بتحديد المصطلحات التى يقترحها : فيطلق اسم القصة على المدلول ، أو المضمون السردى ... واسم الحكاية على الدال ، أو المنطوق ، أو الخطاب ، أو النص السردى نفسه ، واسم السرد على الفعل السردى المنتج ، ومن ثم يرى أن مستوى الخطاب السردى وحده من بين المستويات الثلاثة هو الذى يقدم نفسه مباشرة للتحليل النصى (١٠) . وتحليل الخطاب

---

(٧) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire, Communications n8, éd . du Seuil, coll. Points, 1981, P. 137

(٨) Ibid.P.144 - 145

(٩) انظر : روجيه فابول : نحو علم للأدب ، اتجاهات النقد المعاصر ، ترجمة محمد خير البقاعى ، مجلة العرب والفكر العالمى ، العدد السابع ، بيروت ١٩٨٩ .

(١٠) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972,P. 72 - 73

السردى كما يرى : هو فى الأساس - دراسة العلاقات بين الحكاية والقصة ، وبين الحكاية والسرد ، وبين القصة والسرد (١١) .

وينطلق " Genette " من اقتراح " Todoovr " الذى سبقت الإشارة إليه ، والذى يصنف مسائل الحكاية إلى ثلاث مقولات : الزمن ، وفيه يدرس العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب ، ومقولة الجهة (مظاهر السرد) أو الكيفية التى يدرك بها السارد القصة . ومقولة الصيغة ، أى نمط الخطاب الذى يستعمله السارد ...... وهو وإن كان يتبنى مقولة الزمن كما هى عند " Todorov " فإنه يرى أن يعدّل كثيرا فى المقولتين الأخريين ، بحيث إنه " يجب إعادة تجميع ما كان يوزعه Todorov بين الجهة والصيغة ، فى مقولة واحدة ضخمة نسميها مؤقتا مقولة أنماط التمثيل أو درجات المحاكاة " (١٢) .

وإننا وقد حاولنا استيعاب نظريات السرد لكى نتمكن من التعامل مع النص القصصى القرآنى ، فإننا نعترف أنه من الصعوبة بمكان أن نقول إن ثمة منهجا بعينه نستطيع من خلاله تحليل القصة القرآنية ، فإننا منذ الشكليين الروس (إيخنبوم ١٨٨٦ - ١٩٤٨ ، وتوماشفسكى ١٨٩٠ - ١٩٥٩ ، وتينيانوف ١٨٩٤ - ١٩٤٣ ، وجاكوبسون ١٨٩٥ - ١٩٣٨ ، وشكلوفسكى ١٨٩٣ - ١٩٨٤ ....) وسعيهم الدؤوب وراء البحث عن الخصائص النوعية للأدب ، ومن ثم اهتمامهم بدراسة الأعمال الإبداعية فى ذاتها دون النظر إلى ما هو خارجى عنها ... ومرورا بأعمال البنائيين الذين اهتموا بالتحليل البنيوى للحكى كما رأينا مع أصحاب مجلة Communication حتى نصل إلى " Genette " وكتابه : " خطاب الحكاية " الذى يمثل دون شك مرحلة متميزة فى تاريخ تحليل الخطاب الحكائى ، و ثم من تلاه مقتفيا أثره كشلوميت كنعان فى كتابها " التخييل القصصى : الشعرية المعاصرة " وميك بال فى مقال

---

(١١) Ibid.P.74

(١٢) Gérard Genette, Ibid.P75

لها حول " السرد والتبئير (Poétique 29) أو من تلاه ناقدا إياه ومعيبا عليه بعض هنات وقع فيها فى كتابه المذكور ؛ مما دعاه لأن يضع كتابه " الخطاب الجديد للحكاية " سنة ١٩٨٣ يرد فيه عليهم ، وأيضا يراجع فيه نفسه ، ويعدل من آرائه .

كل هذا ، وكثير غيره ، يزيد الأمر صعوبة ، وبخاصة حين لانجد اثنين يتفقان فى طريقة التحليل ، بل كل شخص تؤثر عليه معارفه ، وتخصصه (١٣) ... مما يوحى بأننا أمام عدة مناهج فى التحليل ، وهذا يتطلب منا أن نحدد اتجاهنا بصرامة من البداية ؛ فنرى أن نمسك بالخيط منذ الشكليين الروس ، ومع بروب حيث سنعتمد منهجه فى دراسة القصة من حيث هى محكى ، بدءا من ضرورة الاعتماد على بنائها الداخلى ، وانتهاء إلى ما كان يطمح فى الوصول إليه من " مورفولوجيا " أو وصف للحكاية وفق مكوناتها الأساسية ، وعلاقة هذه المكونات ببعضها من ناحية ، وأحدها بالآخر من ناحية أخرى ؛ ثم مع الشكليين الجدد نعمق بحث الحكاية من خلال Barthes ، وتصوراته حول التحليل البنيوى للقصص ، وتمييزه بين المستويات الثلاثة : الوظائف ، والأفعال ، والسرد ، المترابطة فيما بينها ترابطا اندماجيا تصاعديا ، إذ الوظيفة تفصح عن دلالتها فى حقل الفعل ، الذى لايكون بدوره ذا معنى إلا ضمن الخطاب الذى يغذيه بشفرته . وكذلك من خلال تصور Todorov الذى قدمه فى دراسته لمقولات الحكى ١٩٦٦ والذى ميز فيه - من ناحية السرد القصصى من حيث هو محكى ، أو من ناحية دراسة المتن الحكائى بتعبير توماشفسكى - بين مستويين ، هما : منطق الأحداث ، من جهة ، والشخصيات وعلاقاتها ، من جهة أخرى .

---

(١٣) يقول ميشيل فوكو بهذا الصدد : " إننا لانستطيع بحق تحديد البنيوية كمنهج ، ذلك لأنه من الصعب جدا ملاحظة وجه الشبه بين الطريقة البنيوية لتحليل القصص الشعبية عند بروب وبين طريقة تحليل الأنساق الفلسفية عند جيرو ، أو وجه الشبه بين تحليل الفنون الأدبية عند فرايد بأمريكا وبين تحليل الأساطير عند ليفى شتراوس . " وذلك فى محاضرة بعنوان " البنيوية والتحليل الأدبى " ألقاها بنادى الطاهر الحداد فى تونس عام ١٩٦٧ ، ونشرت بترجمة محمد الخماسى ، فى مجلة العرب والفكر العالمى ، العدد١ ، لعام ١٩٨٨ . وانظر أيضا ، زكريا إبراهيم : مشكلة البنية ، طبعة مكتبة مصر ، بدون تاريخ ، ص: ٢٤

أما من ناحية السرد القصصى من حيث هو خطاب ، فأمامنا التصور الذى قدمه Todorov كذلك فى مقولات الحكى ، والمتمثل فى المنظومة الثلاثية للتحليل السردى - من حيث هو خطاب - وهى : الزمن ، والجهة ، والصيغة . هذه المنظومة التى تبناها Genette فى كتابه " خطاب الحكاية " ووصل بها إلى درجة من الوضوح والاستقرار ، تجعلنا نعتمد عليها فى شيء من الاطمئنان ، مستضيئين ببعض التجارب العربية التى سلكت هذا المسلك ، مثل : " تحليل الخطاب الروائى " لسعيد يقطين ، و " تقنيات السرد الروائى - فى ضوء المنهج البنيوى " لحكمت الخطيب ، و " بناء الرواية " لسيزا قاسم ، و " نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة " لنبيهة إبراهيم ، و " تداخلات الرؤية والسرد والمكان " لمحمد عبد المطلب ، وكذلك دراسة صلاح فضل عن " أساليب السرد فى الرواية العربية " وأمينة رشيد فى دراستها عن " تشظى الزمن فى الرواية الحديثة " .....

ونرى أن نحدد المصطلحات التى سيأتى استعمالها فى الدراسة . أولها السرد ، وهو يقابل La narration فى الفرنسية الذى يعنى المنطوق السردى لحكاية ما سواء أكان شفاهيا أم كتابيا (١٤) ، ونجد فى لسان العرب فى مادة سرد " السرد فى اللغة تقدمة شيء إلى شيء تأتى به متسقا بعضه فى إثر بعض متتابعا . سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه ... والسرد المتتابع " وهناك السرد القصصى ونحن نعده مقابل Le récit فى الفرنسية ، أى الطريقة التى تُروى بها القصة . وفى مادة قصص فى لسان العرب نقرأ " ويقال : قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء " وهذا قريب مما قيل فى السرد مع اختلاف قليل هو أن السرد يحتمل أن يكون قصصيا أو غير قصصى لهذا احتفظنا للكلمة Le récit بالسرد القصصى ، هذا والكلمة Le récit فى الفرنسية تتكون من متن حكائى ومبنى حكائى فى آن واحد ، أى أنها محكى وخطاب معا ؛ إنها القصة بكاملها : شكلا ومضمونا ؛

---

(١٤) Gérard Genette, Figures III, P. 71 & Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer : Nouveau dictionnaire Encyclopédique des science du langage, Paris, éd.du Seuil, coll.Points, 1995, P. 710

واستعملنا كلمة قصة بمعنى المتن الحكائى ، وكلمة خطاب Discours بمعنى الطريقة التى يُروى بها الخبر ([15]) .

أما من ناحية القصة موضوع التطبيق ـ القصة القرآنية ؛ فنحن فى أى وقت من الأوقات لانستطيع أن نفصل بين الكلمتين (القصة ـ القرآنية) إنما يكون النظر إلى القصة على أنها قرآنية ، ولذلك خصوصية مهمة ، سنحتاج إلى التذكير بها مرة بعد مرة ؛ فهى قصة لها أهدافها ، التى ترجع إلى طبيعة الكتاب الكريم ، فهو كتاب دعوة ، والقصص فيه كذلك وسيلة من وسائل الدعوة ، ففى كل مرة نذكر فيها قصة جديدة سنكون بحاجة إلى القول : إنها جاءت لأهداف تحققها ، وغايات تسعى إليها . ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(١٧٦) ﴾ الأعراف ﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ سورة هود ١٢٠ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ سورة يوسف ١١١ .

---

(١٥) ونشير بهذا الصدد إلى أننا سنستعين كثيرا بالترجمة التى قدمها كل من : محمد معتصم ، وعبد الجليل الأزدى ، وعمر حلى لجانب من كتاب Genette : " Figures III " المسمى " خطاب الحكاية ، بحث فى المنهج " ط٢ القاهرة ١٩٩٧ ، وبخاصة فى نقل المصطلح إلى العربية . وكذلك بسعيد يقطين فى كتابه : تحليل الخطاب الروائى ، ط١ ١٩٩٨، وصلاح فضل فى كتابه : بلاغة الخطاب وعلم النص ، الكويت ، ١٩٩٢؛ وسوف نحاول أن نذيل الدراسة بمعجم لأهم المصطلحات الواردة فيها ، معتمدين ـ بالإضافة إلى الكتب السابقة ـ على – Oswald Ducrot Jean Marie Schaeffer : Nouveau dictionnaire Encyclopédique des science du langage, Paris, éd.du Seuil, coll.Points, 1995

القصة والسرد

" السرد القصصى " ومن خلال الاسم ، يتفرع إلى قسمين كبيرين ، هما : القصة (بمعنى المتن الحكائى) والسرد (بمعنى المبنى الحكائى) وهذا ما سنسير عليه طوال البحث . أما الأول فيتعلق بالأحداث والشخصيات ، وأما الثانى فيتعلق بتنظيم تلك الأحداث فى نسق خاص ، بكيفية خاصة ، من خلال سارد يتوجه به إلى مسرود له .

أولا - القصة القرآنية بوصفها متنا حكائيا

إن دراسة القصة بوصفها متنا حكائيا ، تعنى دراسة مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها ، وتمثل مادة أولية للحكاية الواقعة من أشخاص ؛ ودراستنا للمتن الحكائى إذن لن تخرج عن هذين المحورين :

المحور الأول - الأحداث ، وقد احتفظنا لها بتسمية بروب " الوظائف " و يقصد بالوظيفة : " فعل شخصية ما ، محددا من وجهة نظر دلالته داخل جريان الحبكة " (١) والوظيفة تمثل عنصرا ثابتا فى الحكاية ؛ ولأنها تصف تفاعل الشخصيات ، أى تصف أفعال وأوضاع السرد معا ، فإن ما هو مهم فى دراسة القصة - فيما يرى بروب - هو التساؤل عما تقوم به الشخصيات ، وليس السؤال عمن فعل هذا الفعل ، أو كيف فعله ؛ فتلك أسئلة لا يمكن طرحها إلا باعتبارها توابع فحسب (٢) .

---

(١) V.Propp , Morphologie du conte, Traduction française, Ed.du Seuil, coll.Points, 1970 , p. 31

(٢) Ibid.p : 29

والمحور الثانى ـ الشخصيات التى تقوم بهذه الأحداث أو تؤدى هذه الوظائف ، وما بينها من علاقات ، ودوافع تدفعها إلى ما تضطلع به من أفعال .

ولنبدأ بتحديد المصادر التى سوف نعتمد عليها فى الحصول على " المتن الحكائى " لقصصنا القرآنى ؛ إنه النص القرآنى ذاته ، هو السرد القصصى فى القرآن منقطعا عما عداه من تأويلات ، أو إسرائيليات ، أو غير ذلك ... القصة كما وردت فى الكتاب الكريم فحسب ، بكل خصوصياتها ؛ وإن ثمة بنية محايثة للقصة يمكن عزلها بقصد الوصف ، كما يرى بروب . على أن مسألة فصل تلك البنية المحايثة - وهى مسألة شائكة ربما لاتصالها بوجه من الوجوه بتلك الثنائية القديمة : اللفظ والمعنى - هى مسألة فصل إجرائى فحسب يعين على دقة الدراسة مع احتفاظنا للبنية بحقها فى الاكتمال الذاتى ، فليس هناك مبنى ومعنى وإنما هناك بنية مكتملة تحمل معناها الخاص .

١ ـ البنية الوظيفية

ـ قصص آدم عليه السلام :

يرد هذا القصص فى مواضع كثيرة من الكتاب الحكيم ، ونحن فى هذه الدراسة نتتبع هذا القصص فى أكثر مواضعه تفصيلا ، واصفين البنية الوظيفية الخاصة بكل موضع . معتبرين - ودائما ـ ترتيب نزول السور القرآنية الكريمة .

ا ـ فى سورة ص (٣٨) :

١ ـ إخبار الله الملائكة بخلق آدم (٧١ ـ ٧٢)

٢ ـ سجود الملائكة ، وامتناع إبليس (٧٣ ـ ٧٦)

٣ ـ طرد إبليس (٧٧ ـ ٧٨)

٤ ـ طلبه الإنظار إلى يوم البعث ، وإجابته إلى طلبه (٧٩ ـ ٨٣)

٥ ـ وعيد الله لإبليس وأتباعه (٨٤ ـ ٨٥)

تبدأ الأحداث بطلب صاحب الوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يعلن أن العلم الذى يعلمه موحى به إليه من ربه ، ولولا هذا الوحى ما كان ليعلم من أمر تلك القصة شيئا ، ومن ثم يأخذ فى سرد أحداثها : من إخبار الله الملائكة بخلق آدم ، ثم سجود الملائكة و امتناع إبليس ، ثم طرد إبليس ، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه ، ثم وعيد الله لإبليس وأتباعه .

ب ـ فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ ـ سجود الملائكة ، وامتناع إبليس (١١ ـ ١٢)

٢ ـ طرد إبليس (١٣)

٣ ـ طلبه الإنظار إلى يوم البعث ، و إجابته إلى طلبه (١٤ ـ ١٧)

٤ ـ وعيد الله لإبليس وأتباعه (١٨)

٥ ـ سكنى آدم وزوجه الجنة ، ونهيهما عن شجرة فيها (١٩)

٦ ـ إغواء الشيطان لهما (٢٠ ـ ٢٢)

٧ ـ الخطيئة والتوبة (٢٢ ـ ٢٣)

٨ ـ الهبوط إلى الأرض (٢٤)

تبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس ، وما كان من نتائج هذا الامتناع من طرد له ووعيد منه بإغواء آدم وذريته ، ثم تعرض لسكنى آدم وزوجه الجنة ونهيهما عن شجرة فيها ، ومن ثم يتحقق لإبليس ما أراد من إغواء لآدم وذريته ، فكانت الخطيئة وكانت التوبة .

فإذا كنا فى سورة " ص" نجد سردا لقصة آدم وإبليس الغرض منه إثبات الوحى ، فنحن ههنا نجد شيئا آخر أحدثه فيما نعتقد إحلال وظائف لم تكن موجودة من قبل مثل سكنى آدم وزوجه الجنة ، وإغواء الشيطان لهما .... إنها قصة العداوة بين آدم وإبليس تفصلها الوظائف المعروضة التى تبدأ برفض إبليس السجود ، وتنتهى بتأكيد العداوة مع الهبوط الى الأرض ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤) ﴾ البقرة .

جـ - فى سورة طه (٤٥) :

- تقديم / إجمال القصة : نسيان آدم (١١٥)

ثم تفصيل :

١ - سجود الملائكة وامتناع إبليس (١١٦)

٢ - تحذير آدم من عداوة إبليس (١١٧ - ١١٩)

٣ - إغواء الشيطان لآدم (١٢٠)

٤ - الخطيئة والتوبة (١٢١ - ١٢٢)

٥ - الهبوط إلى الأرض (١٢٣ - ١٢٦)

تتحدد ههنا مهمة السرد منذ البداية ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥) ﴾ فهى قصة النسيان (نسيان آدم) ويسير السرد على هذا النحو ، فتبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس ، ثم يأتى التحذير لآدم من عداوة إبليس - وهى وظيفة جديدة هنا - لئلا يخرجه من النعيم إلى الشقاء . لكنه ينسى ؛ فيكون الشقاء .

د ـ فى سورة الإسراء (٥٠) :

١ ـ سجود الملائكة وامتناع إبليس (٦١)

٢ ـ طلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته إلى طلبه (٦٢)

٣ ـ وعيد الله لإبليس وأتباعه (٦٣)

٤ ـ إرشاده إلى سبل الغواية ، وإخباره بعصمة عباد الله (٦٤ ـ ٦٥)

تبدأ الأحداث بسجود الملائكة وامتناع إبليس ، واستكباره أن يسجد لمخلوق من طين ، مبديا حقده عليه لتكريم الله إياه ، فيطلب من الله التأخير إلى يوم القيامة ، ليريه كيف أن هذا المخلوق من الضعف حتى أنه لن يثبت أمام إضلاله له واستحواذه عليه ـ إلا القليل ـ فيجيبه الله إلى طلبه ويبشره بجهنم ومن اتبعه ، وليفعل كل ما بوسعه ؛ فلا سلطان له على عباد الله يمكنه من تغيير ما فى قلوبهم من إيمان .

فالقصة تعرض حقد الشيطان على الإنسان لتكريم الله إياه من دونه وتفضيله عليه .. وتعرض من ثم سبل الشيطان إلى غواية الغاوين ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاّ غُرُورًا(٦٤) ﴾ .

هـ ـ فى سورة الحجر (٥٤) :

ـ تقديم : خلق الإنسان من صلصال ، والجان من نار (٢٦ ـ ٢٧)

ثم تفصيل :

١ ـ إخبار الله الملائكة بخلق آدم (٢٨)

٢ ـ سجود الملائكة وامتناع إبليس (٢٩ ـ ٣٣)

٣ ـ طرد إبليس (٣٤ ـ ٣٥)

٤ ـ طلبه الإنظار إلى يوم البعث ، وإجابته إلى طلبه (٣٦ ـ ٣٨)

٥ ـ وعيد الله لإبليس وأتباعه (٣٩ ـ ٤٤)

بعد مقدمة سريعة تعرض للفارق الأساسى بين الإنسان والجان ، وأن لكل منهما طبيعته التى تعود إلى مادة خلقه يبدأ تفصيل الأحداث : من إخبار الله الملائكة بخلق آدم ، ثم سجود الملائكة و امتناع إبليس أن يسجد لبشر من صلصال من حمإ مسنون بينما هو مخلوق من نار السموم ، ثم ما كان من طرد إبليس ، وطلبه الإنظار إلى يوم البعث وإجابته الى طلبه ، وإخبار الله له بعصمة عباده ، إنما سلطانه على الغاوين ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ(٤٣) ﴾ .

و ـ فى سورة البقرة (٨٧) :

١ ـ إخبار الله الملائكة بجعله خليفة فى الأرض (٣٠)

٢ ـ إعداد آدم للخلافة (٣١ ـ ٣٣)

٣ ـ سجود الملائكة وامتناع إبليس (٣٤)

٤ ـ سكنى آدم وزوجه الجنة ، ونهيهما عن شجرة فيها (٣٥)

٥ ـ إغواء الشيطان لهما (٣٦)

٦ ـ التوبة (٣٧)

٧ ـ الهبوط إلى الأرض (٣٨ ـ ٣٩)

تبدأ الأحداث بإخبار الله الملائكة بجعله خليفة فى الأرض ؛ وتنتهى بإيجاد هذا الخليفة ، مرورا بمجموعة من الوظائف المتعلقة بأمر الاستخلاف دون غيرها ، مما يأتى فى سياقات أخرى ؛ فنجد الحديث عن منزلة آدم ، وتكريمه بأمر الله الملائكة أن يسجدوا له ، مع إلماحة سريعة إلى إباء إبليس دون التعرض لنتيجة هذا الإباء ... ثم إسكان آدم وزوجه الجنة ونهيهما

عن شجرة فيها ، أزلهما الشيطان عنها ، وتوبة الله على آدم ، ثم هبوطه إلى الأرض خليفة كما أراد له الله .

- تعقيب :

نلاحظ كيف أن حضور بعض الوظائف أو غيابها يؤثر فى تغيير الصورة التى تأتى عليها القصة فى كل مرة : فمرة هى عرض لقصة آدم وإبليس ، ومرة هى قصة العداوة بين آدم وإبليس ، وثالثة هى قصة نسيان آدم ، ورابعة هى قصة حقد الشيطان على آدم ، وخامسة هى قصة التباين بين آدم وإبليس ، وسادسة هى قصة الاستخلاف فى الأرض .

فى كل مرة نجد قصة جديدة ، كأثر لحضور وظيفة أو غياب أخرى ، مما يؤثر فى المتتالية الوظيفية ، ويغير من ثم منطق ترابطها ، فيصير المعنى إلى معنى آخر .

- قصص نوح عليه السلام :

بالنظر إلى البنية الوظيفية لقصص نوح عليه السلام فى مواضعه الأكثر تفصيلا فى كتاب الله الحكيم، نجد أنها :

ا ـ فى سورة القمر (٣٧) :

١ ـ تكذيب قوم نوح (٩)

٢ ـ استنصار نوح بربه (١٠)

٣ ـ إهلاك المكذبين ، ونجاة المؤمنين (١١ ـ ١٤)

تحكى الأحداث ـ فى إيجاز شديد ـ ما وقع بقوم نوح من عذاب ، جزاء تكذيبهم واجترائهم على نبيهم عليه السلام ؛ بدءا بحدث التكذيب ، فاستنصار نوح بربه ، ومن ثم يأتى وصف ما حاق بقومه من العذاب ، وما لحق به من نعمة ربه بإنجائه مما لحق بقومه .

ب ـ فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ ـ إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده (٥٩)

٢ ـ تكذيب قومه (٦٠ ـ ٦٤)

٣ ـ نجاة المؤمنين ، و إهلاك المكذبين (٦٤)

تحكى الأحداث قصة الدعوة إلى الله ، وما يصاحبها من جدال وتكذيب وعقاب .

جـ ـ فى سورة الشعراء (٤٧) :

ـ مقدمة : تكذيب قوم نوح (١٠٥)

ـ ثم تفصيل :

١ ـ دعوة نوح لهم إلى تقوى الله وطاعته (١٠٦ ـ ١١٠)

٢ ـ استكبارهم وتهديدهم له (١١١ ـ ١١٦)

٣ ـ نجاة المؤمنين ، و إهلاك المكذبين(١١٧ ـ ١٢٢)

يبدأ السياق بتقديم يحدد اتجاه القصة ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥) ﴾ ومن ثم تفصل الأحداث قصة قوم دأبهم تكذيب الرسل ، وما كان من موقفهم تجاه نبيهم الذى قنط من إيمانهم ؛ فدعا عليهم ؛ فجاءت النهاية فى إيجاز سريع .

د ـ فى سورة يونس (٥١) :

١ - تحدى نوح لقومه (٧١ - ٧٢)

٢ - تكذيب قومه (٧٣)

٣ - نجاة المؤمنين ، وإهلاك المكذبين (٧٣)

تحكى الأحداث قصة تحدى نوح عليه السلام لقومه ، فى عرض مختصر - وفى نهاية رسالته - أن يفعلوا ما بوسعهم إن كانوا قد ضاقوا به وبدعوته ، أما هو فقد توكل على الله ربه .

هـ - فى سورة هود (٥٢) :

١ - إرسال نوح ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٢٥ - ٢٦)

٢ - تكذيب قومه له ، وطلبهم إيقاع العذاب بهم (٢٧ - ٣٦)

٣ - الأمر بصناعة الفلك (٣٧ - ٣٩)

٤ - الطوفـان (٤٠ - ٤٣)

٥ - نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين (٤٤ - ٤٩)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام ، وتكذيب قومه له وثبوتهم على كفرهم ، ومن ثم الأمر بصناعة الفلك ، وبعد ذلك تأتى تفاصيل أحداث الطوفان ، وما بعد الطوفان .

و - فى سورة نوح (٧١) :

١ - إرسال نوح ، والدعوة إلى عبادة الله (١ - ٤)

٢ - تكذيب قومه له (٥ - ٢٣)

٣ - إهلاك الكافرين (٢٤ - ٢٥)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام ، ثم تحكى تفاصيل الشَكوى إلى الله من قوم كافرين ، يصرون على كفرهم ، وكأنه يعتذر إلى الله حيث لم يستطع هدايتهم . ومن ثم غرقهم فإدخالهم النار دون تفصيل .

ز ـ فى سورة "المؤمنون" (٧٤) :

١ ـ إرسال نوح ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٢٣)

٢ ـ تكذيب قومه له (٢٤ ـ ٢٦)

٣ ـ الوحى بصناعة الفلك (٢٧)

٤ ـ نجاة المؤمنين ، و إهلاك الكافرين (٢٧ ـ ٣٠)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام ، ثم تعرض لتمادى قومه فى سخريتهم به ، حتى استنصر ربه فنصره .

ح ـ فى سورة العنكبوت (٨٥) :

١ ـ إرسال نوح إلى قومه (١٤)

٢ ـ لبثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما (١٤)

٣ ـ إهلاك الكافرين ، و نجاة المؤمنين (١٤ ـ ١٥)

تبدأ الأحداث بإرسال نوح عليه السلام ، وتحكى قصة صبره الطويل على دعوته لقومه ، و لم تُجْد هذه المدة الطويلة شيئا مع قومه .

- تعقيب :

فى كل المتتاليات الوظيفية التى تمثل قصص نوح ، نجد وظائف ثابتة تتكرر فى كل مرة ، وأخرى غير ثابتة ، أما الثابتة فهى :

١ـ إرسال نوح عليه السلام والدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢ـ تكذيب قومه له .

٣ـ نجاة المؤمنين ، و إهلاك الكافرين .

وأما الأخرى ، فيؤثر حضورها أو غيابها فى تغيير الصورة التى تأتى عليها القصة : فمرة هى قصة العذاب الذى وقع بقوم نوح جزاء تكذيبهم ، وثانية هى قصة الدعوة إلى الله ، وثالثة هى قصة قوم مكذبين ، ورابعة هى قصة تحدى نوح لقومه ، وخامسة هى قصة الطوفان ، وسادسة هى قصة الشكوى إلى الله ، وسابعة هى قصة انتصار الله لنبيه ، وثامنة هى قصة الصبر الطويل على الدعوة .

- قصص هود عليه السلام :

ا ـ فى سورة القمر (٣٧) :

١ ـ تكذيب عاد (١٨)

٢ ـ وقوع العذاب (١٨ ـ ٢١)

تحكى الأحداث ـ فى إيجاز شديد ـ ما وقع بقوم هود من عذاب ، جزاء تكذيبهم .

ب ـ فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ ـ إرسال هود ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٦٥)

٢ ـ تكذيب قومه ، وطلبهم العذاب (٦٦ ـ ٧١)

٣ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك المكذبين (٧٢)

تحكى الأحداث موقف قوم من الوحى ؛ حيث استكبروا وكذبوا وسخروا ، فعوقبوا وأهلكوا .

جـ ـ فى سورة الشعراء (٤٧) :

ـ مقدمة : تكذيب عاد (١٢٣)

ـ ثم تفصيل :

١ ـ دعوة هود لقومه (١٢٤ ـ ١٣٥)

٢ ـ تكذيب قومه له (١٣٦ ـ ١٣٩)

٣ ـ إهلاك عاد (١٣٩)

يبدأ السياق بمقدمة تحدد اتجاه القصة من البداية ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ(١٢٣) ﴾ ثم تفصل الأحداث قصة قوم مكذبين ، مع حرص رسولهم على هدايتهم .

د ـ فى سورة هود (٥٢) :

١ ـ إرسال هود والدعوة إلى عبادة الله وحده (٥٠ ـ ٥٢)

٢ ـ تكذيب قومه له (٥٣ ـ ٥٤)

٣ ـ تحديه لهم (٥٤ ـ ٥٧)

٤ ـ نجاة المؤمنين ، و إهلاك الكافرين (٥٨ ـ ٦٠)

تحكى الأحداث ـ فى تفصيل ـ ما كان من تحدى هود لقومه بعد أن أيس منهم ، وما كان بعد ذلك من إهلاكهم ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(٥٩)وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ(٦٠) ﴾ .

هـ فى سورة الأحقاف (٦٦) :

١ ـ إنذار هود لقومه (٢١)

٢ ـ تكذيب قومه واستعجالهم العذاب (٢٢ ـ ٢٣)

٣ ـ إهلاك عاد (٢٤ ـ ٢٥)

تحكى الأحداث قصة قوم جاهلين ؛ أنذروا فكذبوا ، ورأوا العذاب فحسبوه غيثا ؛ فهلكوا بجهلهم .

ـ تعقيب :

نلاحظ أن الوظائف الثلاث الثابتة فى قصص نوح عليه السلام ، تتكرر ههنا كذلك ، وهى هنا أيضا ثابتة فى كل المتتاليات الوظيفية :

١ـ الإرسال والدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢ـ التكذيب .

٣ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

وهناك وظائف أخرى متغيرة ، يؤثر حضورها فى تغيير المتن الحكائى ؛ ليأتى كما رأينا فى صور مختلفة : فمن حكاية صورة العذاب ، إلى موقف القوم من الوحى ، إلى قصة قوم مكذبين ، إلى قصة تحدى هود لقومه ، إلى قصة الجهل الذى يعمى الأبصار والبصائر .

- قصص صالح عليه السلام :

ا ـ فى سورة القمر (٣٧) :

١ ـ تكذيب ثمود (٢٣ ـ ٢٩)

٢ ـ وقوع العذاب (٣٠ ـ ٣١)

تحكى الأحداث ما وقع بثمود من عذاب جزاء تكذيبهم .

ب ـ فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ ـ إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده (٧٣ ـ ٧٤)

٢ ـ تكذيب قومه له (٧٥ ـ ٧٦)

٣ ـ عقر الناقة وطلب العذاب (٧٧)

٤ ـ إهلاك الكافرين (٧٨ـ ٧٩)

هذه قصة الدعوة إلى الله : نبى يدعو وقوم يكذبون ، ويسخرون من المؤمنين ، ويج بآيات ربهم ؛ فيهلكهم الله بذنوبهم ، ويعجل لهم الهلاك دون تفصيل .

جـ ـ فى سورة الشعراء (٤٧) :

١ ـ تكذيب ثمود (١٤١)

٢ ـ دعوة صالح لهم (١٤٢ ـ ١٥٢)

٣ ـ تكذيبهم له ، وطلبهم آية (١٥٣ ـ ٤

٤ ـ الناقة ، والتحذير (١٥٥ ـ ١٥٦)

٥ ـ عقر الناقة ، والندم (١٥٧)

٦ ـ إهلاك ثمود (١٥٨)

تبدأ الأحداث بتقديم يحدد اتجاه القص ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ(١٤١) ﴾ ومن ثم تفصل الأحداث قصة التكذيب المركوز فى نفوس أصحابه ، فهم يتحركون بتوجيه منه .

د ـ فى سورة النمل (٤٨) :

١ ـ إرسال صالح إلى ثمود ، وانقسامهم فريقين (٤٥)

٢ ـ كفر الفريق الضال ، وتشاؤمهم من المؤمنين (٤٦ ـ ٤٧)

٣ ـ عقد العزم على قتل صالح وأهله (٤٨ ـ ٥٠)

٤ ـ إهلاك الكافرين ، ونجاة المؤمنين (٥١ ـ ٥٣)

تحكى الأحداث قصة قوم مكروا بنبيهم ، وبيتوا لقتله ، فأهلكهم الله بما مكروا .

هـ ـ فى سورة هود (٥٢) :

١ ـ إرسال صالح ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٦١)

٢ ـ تكذيب قومه له ، وإنكارهم لحاله (٦٢)

٣ ـ عقر الناقة ، وانتظار العذاب (٦٣ ـ ٦٥)

٤ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الظالمين(٦٦ ـ ٦٧)

وهذه قصة انحراف الفطرة ، حين يصير الحق ضلالا وباطلا ، والباطل حقا ؛ إذ نجد فى ردهم على نبيهم ﴿ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا ﴾ أى قبل أن يدعوهم إلى الحق الذى سيكلفهم ترك اتباع الهوى .

- تعقيب :

ههنا أيضا تتكرر الوظائف الثابتة فى قصص نوح وهود عليهما السلام :

١- الإرسال و الدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢- التكذيب .

٣- نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

وثم وظائف أخرى متغيرة تؤثر فى متن الحكاية ، وتؤدى إلى زيادة خصوصية القصة ؛ فتأتى مرة قصة التكذيب والعذاب ، ومرة قصة الدعوة إلى الله ، ومرة ثالثة قصة التكذيب الذى يقود أصحابه إلى هلاكهم ، ورابعة قصة المكر الذى يهلك أصحابه ، وخامسة قصة انحراف الفطرة .

- قصص لوط عليه السلام :

ا - فى سورة القمر (٣٧) :

١ - تكذيب قوم لوط (٣٣)

٢ - إهلاك المكذبين ، ونجاة المؤمنين (٣٤ - ٣٥)

٣ - إنذار لوط قومه ، وتكذيبهم له (٣٦)

٤ - مراودتهم لوطا عن ضيفه (٣٧)

٥ - إهلاك قوم لوط (٣٧ - ٣٩)

تعرض الأحداث قصة إهلاك قوم لوط ؛ حيث أنذروا فكذبوا فحق هلاكهم .

ب ـ فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ ـ إنكار لوط فعل قومه (٨٠ ـ ٨١)

٢ ـ تماديهم فى الغى والإجرام (٨٢)

٣ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين (٨٣ ـ ٨٤)

تحكى الأحداث قصة الدعوة إلى الله ، باتباع هديه ، وترك اتباع الهوى والإغراق فى الرذيلة . ومقابلة ذلك بالجحود والتكذيب . ومن ثم يكون الإهلاك جزاء وفاقا دون إمهال ، ودون مقدمات تفصيلية .

جـ ـ فى سورة الشعراء (٤٧) :

١ ـ تكذيب قوم لوط (١٦٠)

٢ ـ دعوة لوط لهم (١٦١ ـ ١٦٦)

٣ ـ تهديدهم بإخراجه إن لم ينته (١٦٧)

٤ ـ تصريحه بالبغض لعملهم ، واستنصاره بربه (١٦٨ ـ ١٦٩)

٥ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين (١٧٠ ـ ١٧٤)

تحكى الأحداث قصة قوم مكذبين ، صموا آذانهم عن دعوة نبيهم ؛ فدمر الله عليهم .

د ـ فى سورة هود (٥٢) :

١ ـ مجيء الرسل إبراهيم ببشرى الولد ، و إخبارهم له بأمر قوم لوط (٦٩ ـ ٧٦)

٢ ـ مجيء الرسل لوطا ، وضيقه بهم ؛ خوفا عليهم من قومه (٧٧)

٣ ـ قدوم قومه يريدون ضيفه ، ومحاولته منعهم (٧٨ ـ ٨٠)

٤ ـ كشف الرسل عن حقيقتهم ، وطلبهم إليه بالرحيل (٨١)

٥ ـ إهلاك الكافرين (٨٢ ـ ٨٣)

تعرض الأحداث حيرة لوط عليه السلام ـ لمعرفته بانحراف قومه ـ حين أتته الملائكة فى صورة بشر ضيفان ، وهو ليس بقادر على حسن استضافتهم .

هـ ـ فى سورة الحجر (٥٤) :

١ ـ مجيء الرسل إبراهيم ببشرى الولد ، وإخبارهم له بأمر قوم لوط (٥١ ـ ٦٠)

٢ ـ مجيء الرسل لوطا ، وإخباره بأمرهم (٦١ ـ ٦٦)

٣ ـ قدوم قومه يريدون ضيفه ، ومحاولته منعهم (٦٧ ـ ٧١)

٤ ـ إهلاك قوم لوط (٧٢ ـ ٧٧)

تحكى الأحداث قصة تصديق النذير ، أمام الشاكين المكذبين . وهذا ما جاء لأجله الملائكة إلى لوط الذى كان قد توعد قومه بالعذاب ؛ فكذبوه ؛ فصدقته الملائكة بوقوع العذاب .

و ـ فى سورة العنكبوت (٨٥) :

١ ـ إنكار لوط فعل قومه (٢٨ ـ ٢٩)

٢ ـ استهزاء قومه ، وطلبهم العذاب (٢٩)

٣ ـ استنصار لوط بربه (٣٠)

٤ ـ مجىء الملائكة إبراهيم بالبشرى ، وإخباره بأمر القرية (٣١ ـ ٣٢)

٥ ـ مجىء الملائكة لوطا ، وضيقه بهم ؛ خوفا عليهم من قومه (٣٣)

٦ ـ إهلاك القرية (٣٣ ـ ٣٥)

تحكى الأحداث طبيعة الدعوة التى أرسل لها لوط ، ومالقى من استهزاء قومه ، ومن ثم تعرض نصر الله لنبيه حين استنصر به .

ـ تعقيب :

ههنا نجد الوظائف الثلاث الثابتة فى قصص كل من نوح ، وهود ، وصالح :

١ ـ الدعوة إلى تقوى الله .

٢ ـ التكذيب .

٣ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

تنضاف إليها الوظائف المتغيرة ، لتغير الشكل الذى تأتى عليه القصة ، وتمنحه خصوصيته فيكون مرة هو قصة إهلاك قوم لوط ، ومرة قصة الدعوة إلى الله ، وثالثة قصة قوم مكذبين ، ورابعة قصة حيرة النبى ، وخامسة قصة تصديق النذير ، وسادسة قصة نصر الله لنبيه .

ـ قصص شعيب عليه السلام :

ا ـ فى سورة الأعراف (٣٩) :

١ ـ إرسال شعيب إلى مدين ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٨٥ ـ ٨٧)

٢ ـ تكذيب قومه و استكبارهم (٨٨ ـ ٩٠)

٣ ـ استنصاره بربه (٨٩)

٤ ـ إهلاك الكافرين (٩١ ـ ٩٢)

٥ ـ تحسر شعيب عليهم (٩٣)

تعرض الأحداث قصة الدعوة إلى الله ، وموقف المدعوين منها .

ب ـ في سورة الشعراء (٤٧) :

١ ـ تكذيب أصحاب الأيكة (١٧٦)

٢ ـ دعوة شعيب لهم (١٧٧ ـ ١٨٤)

٣ ـ تكذيبهم له ، وطلبهم العذاب (١٨٥ ـ ١٨٧)

٤ ـ إهلاك المكذبين (١٨٨ ـ ١٩٠)

تعرض الأحداث قصة قوم مكذبين ، أهلكوا عقابا على تكذيبهم رسولهم .

جـ ـ في سورة هود (٥٢) :

١ ـ إرسال شعيب إلى مدين ، والدعوة إلى عبادة الله وحده (٨٤ ـ ٨٦)

٢ ـ تكذيب قومه له و استهزاؤهم به (٨٧ ـ ٩١)

٣ ـ تهديده لهم بعذاب الله (٩٢ ـ ٩٣)

٤ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الظالمين (٩٤ ـ ٩٥)

تعرض الأحداث قصة رسول جاهر قومه بالتهديد بالعذاب ، بعد أن يئس منهم لتكذيبهم وكفرهم .

ـ تعقيب :

نحن هنا أمام الوظائف الثلاث الثابتة فى قصص نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط :

١ ـ الإرسال والدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢ ـ التكذيب .

٣ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

وثم وظائف أخرى متغيرة ، تعطى متتالية الوظائف فى كل مرة شكلا جديدا ، يعطى مدلولا مختلفا فى كل مرة ، فمرة نجد قصة الدعوة وما يحف بها ، ومرة قصة عاقبة المكذبين ، ومرة قصة موقف الرسول من قومه المكذبين .

ـ قصص موسى عليه السلام :

أ ـ فى سورة الأعراف (٣٩) :

ـ مقدمة : الإرسال ، والدعوة ، والتكذيب (١٠٣)

ـ ثم تفصيل :

١ ـ إرسال موسى إلى فرعون وقومه ، مؤيّدا بالمعجزات (١٠٤ ـ ١٠٨)

٢ ـ تكذيب فرعون وقومه (١٠٩ ـ ١٢٧)

٣ ـ نجاة بنى إسرائيل ، وإهلاك فرعون وقومه (١٣٠ ـ ١٣٧)

٤ ـ انحراف فطرة بنى إسرائيل ، وفساد طبيعتهم (١٣٨ ـ ١٦٨)

ههنا ، وكما رأينا مع قصص سورة الأعراف : نوح ، وهود ، ولوط ، وشعيب ؛ نلتقى مع الوظائف الثلاث الثابتة : الدعوة . التكذيب . النجاة ، والإهلاك ؛ غير أن الوظيفة الأخيرة ههنا لاتعنى خاتمة القصة ، كما مربنا فى القصص السابقة ، وإنما هى بداية لجانب آخر من القصة ، يتكفل بإظهار فساد طبيعة بنى إسرائيل ، وانحراف فطرتهم ، وهم الفريق الناجى المفترض فيه الإيمان ، لكن طبيعتهم تمنعهم عن أن يثبتوا على العقيدة الصحيحة ؛ فينحرفوا مرة بعد مرة ، وما يزال الرسول بين ظهرانيهم .

ب - فى سورة طه (٤٥) :

١ - اختيار موسى للرسالة (٩ - ٣٦)

٢ - تذكير موسى بنعم الله عليه (٣٧ - ٤١)

٣ - إرسال موسى إلى فرعون (٤٢ - ٥٥)

٤ - استكبار فرعون و تكذيبه (٥٦ - ٧٦)

٥ - إهلاك فرعون وقومه (٧٧ - ٧٩)

٦ - إنجاء بنى إسرائيل ، وضلالهم (٨٠ - ٩٨)

تحكى الأحداث قصة الرسالة ، ومصاحباتها من دعوة ، وتكذيب ، وإهلاك و إنجاء . حيث تبدأ القصة بحدث اختيار الرسول ، بداية من تعريف الله له بذاته ، وأنه اختاره لرسالته ، وأيده بالمعجزات الخارقة ؛ تمهيدا لإرساله إلى فرعون ، ويذكره الله بأنه - من قبل - قد من عليه بنعمه ، منذ ميلاده حتى إرساله ، ليُصنع على عينه ؛ حتى إذا ذهب إلى فرعون ذهب مطمئنا إلى معية ربه ورعايته له اطمئنانا مطلقا . وليذهب إلى فرعون لعله يتذكر أو يخشى ؛ لكنه كذب وأبى ؛ فكانت خاتمة قصة فرعون وقومه متمثلة فى إهلاكهم ، وكان هذا الإهلاك بداية لحياة بنى

إسرائيل الكريمة ، التى رفضوها بجهلهم واتبعوا أهواءهم ؛ فعبدوا عجل السامرى ، حتى عاد موسى من ميعاد ربه فحرّقه ، ونسفه فى اليم نسفا .

جـ ـ فى سورة الشعراء (٤٧) :

١ ـ الإرسال (١٠ ـ ٢٤)

٢ ـ التكذيب (٢٥ ـ ٥٦)

٣ ـ إهلاك فرعون وقومه ، وتكريم بنى إسرائيل (٥٧ ـ ٦٧)

ههنا نقابل الوظائف الثلاث الثابتة ، حيث نبدأ مع إرسال موسى إلى قوم فرعون الظالمين ، ودعوته لهم ؛ لكنهم يكذبونه مستكبرين معرضين عن دعوته ؛ بعد أن يجادل فرعونُ موسى فى تربيته له ، وفى قتله القبطى ، ثم فى الله رب العالمين ، محذرا إياه أن يتخذ إلها غيره ؛ ويجمع له السحرة ليغلبوه ؛ فيُغلبوا ويؤمنوا بالله رب العالمين ؛ ويغضب فرعون ويرسل فى المدائن حاشرين محذرين ؛ وتكون عاقبتهم الإهلاك وتوريث بنى إسرائيل جناتهم ، وكنوزهم ، ومنازلهم .

د ـ فى سورة القصص (٤٩) :

مقدمة : (٣ ـ ٦)

١ ـ طفولة موسى (٧ ـ ١٣)

٢ ـ الخروج إلى مدين (١٤ ـ ٢٨)

٣ ـ الرسالة ، والعودة إلى مصر (٢٩ ـ ٣٥)

٤ ـ مجىء موسى ، ودعوته آل فرعون (٣٦ ـ ٣٧)

٥ ـ تكذيب فرعون واستكباره (٣٨ ـ ٣٩)

٦ ـ إهلاك الظالمين : فرعون وجنوده (٤٠ ـ ٤٢)

تبدأ القصة بمقدمة عن استكبار فرعون ، وإفساده ، وإرادة الله التمكين لبنى إسرائيل ؛ ومن ثم يأخذ السرد فى تفصيل ذلك ؛ فيبدأ منذ طفولة موسى التى جاءت مع إذلال بنى إسرائيل واضطهادهم ، فتلقيه أمه فى اليم خوفا عليه ، ويلتقطه آل فرعون ، ليعود إلى أمه بعد أن يرفض المراضع اللائى عرضن عليه . ومن ثم ينتقل السياق إلى شبابه وقتله للقبطى ، ورحيله إلى مدين ، ليلتقى بالمرأتين ، ويتزوج إحداهما ، ويعود إلى مصر بزوجه بعد أن قضى الأجل ؛ لتبدأ فى طريق العودة رحلة الرسالة ، فيكلفه الله بدعوة آل فرعون ؛ ويكذبه فرعون وجنوده ؛ فتكون العاقبة الوبيلة على المكذبين ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(٤٠) ﴾ .

تعقيب :

ما زالت الوظائف الثلاث الثابتة فى قصص الأنبياء السابقين (نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب) ـ : الدعوة . التكذيب . الإهلاك والإنجاء ـ تؤكد ارتباطها بالرسالات ، فتأتى ههنا فى قصص موسى عليه السلام ، تتضاف إليها وظائف أخرى لتغير من تأثيرها فى نفوس المتلقين ، تبعا لتغير السياق الذى ترد فيه القصة .

ـ قصة موسى و العبد الصالح :

ـ فى سورة الكهف :

١ ـ الرحلة إلى مجمع البحرين (٦٠)

٢ ـ نسيان الحوت (العلامة) (٦١ ـ ٦٤)

٣ ـ لقاء العبد الصالح ، واتباعه على شرطه (٦٥ ـ ٧٠)

٤ ـ الإخلال بالشرط ثلاث مرات (٧١ ـ ٧٧)

٥ ـ الفراق ، وتأويل الأحداث العجيبة (٧٨ ـ ٨٢)

ترد قصة موسى والعبد الصالح مرة واحدة ، فى سياق واحد ؛ فيبدو فيها التماسك الوظيفى الذى تتمتع به مثيلاتها من القصص المذكور مرة واحدة ، كما سنرى فى قصة يوسف عليه السلام .

تبدأ القصة بالرحلة إلى مكان غير معلوم ، و لقاء رجل مجهول يقوم بأفعال غير مبَرَّرة : خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار لمن رفض إطعامه ؛ أفعال تحمل الشر والغرابة فى ظاهرها ، لكن تأويلها الذى يأتى مع الفراق يحمل معنى آخر : فخرق السفينة كان رحمة بأصحابها ، وقتل الغلام كان رحمة بأبويه ، وإقامة الجدار كان رحمة بغلامين يتيمين فى المدينة وكان أبوهما صالحا ؛ ومن ثم يكون وقع الفراق أليما ، وتأثيره مذهلا لموسى ، فلا نسمع له تعليقا ، وإنما ينتقل السياق إلى قصة أخرى .

ـ قصة يوسف عليه السلام :

١ ـ رؤيا يوسف (٤ ـ ٦)

٢ ـ حسد الإخوة (٧ ـ ١٨)

٣ ـ يوسف عند عزيز مصر (١٩ ـ ٢١)

٤ ـ محنة المراودة (٢٢ ـ ٣٤)

٥ ـ يوسف فى السجن " رؤيا السجينين ورؤيا الملك " (٣٥ ـ ٤٩)

٦ ـ براءة يوسف والتمكين له (٥٠ ـ ٥٧)

٧ - قدوم إخوته عليه ، واجتماعه بأخيه (٥٨ - ٨٣)

٨ - تأويل الرؤيا (٨٤ - ١٠١)

ترد هذه القصة فى سياق واحد ، وتكتمل فى بنية وظيفية واحدة متماسكة ؛ فالحكاية تبدأ برؤيا يوسف ، التى تكشف عن حسد إخوته ، ذلك الحسد الذى كان سببا فى وصوله إلى بيت عزيز مصر ، حيث راودته امرأة العزيز عن نفسه ، مما تسبب فى دخوله السجن ، الذى كان سببا فى التمكين له ، حيث وصل إلى الملك عن طريق ساقيه ، وتسبب التمكين له فى اجتماعه بإخوته ، ومن ثم فى تحقيق الرؤيا ... هكذا تترابط الوظائف فى القصة ترابط السبب والنتيجة ؛ حيث تتنامى الوظائف ، وتتناسل اللاحقة من السابقة حتى تكتمل القصة .

- قصص سليمان عليه السلام :

ا - فى سورة ص (٣٨)

١ - سليمان والصافنات الجياد (٣٠ - ٣٣)

٢ - فتنة سليمان (٣٤)

٣ - استغفاره ، وسؤاله ملكا لا ينبغى لأحد بعده (٣٥)

٤ - ملك سليمان (٣٦ - ٤٠)

تحكى الأحداث قصة عبد أواب ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ(٣٠) ﴾ آتاه الله الملك جزاء أوابيته .

ب - فى سورة النمل (٤٨)

١ - ملك سليمان (١٥ - ١٩)

٢ - مجىء الهدهد بخبر سبأ (٢٠ - ٢٦)

٣ - كتاب سليمان إليهم (٢٧ - ٣٤)

٤ - هدية الملكة إلى سليمان (٣٥)

٥ - رفض الهدية ، و تهديدهم بالحرب (٣٦ - ٣٧)

٦ - انتقال عرش الملكة عند سليمان (٣٨ - ٤٠)

٧ - تنكير العرش وتعرفها عليه .. (٤١ - ٤٣)

٨ - إسلام ملكة سبأ (٤٤)

تحكى الأحداث عن ملك سليمان ، وعما آتاه الله من علم بمنطق الطير ؛ فالهدهد سيخبره بخبر سبأ ، والمرأة التى تحكمهم ؛ تمهيدا لدعوتهم إلى الإسلام . وعندما يريد عرش الملكة يأتيه به الذى عنده علم من الكتاب قبل أن يرتد إليه طرفه ، ثم إنه لا يقبل هدية الملكة التى كانت بغرض اختباره ، ويخبرنا السياق أن عدم قبوله الهدية كان سببا فى مجىء الملكة إليه ، ومن ثم إسلامها معه لله رب العالمين ؛ وكأنه لو قبلها لكان للأحداث التالية شأن آخر .

جـ - فى سورة سبأ (٥٨)

١ - ملك سليمان (١٢)

٢ - تسخير الجن له (١٢ - ١٣)

٣ - موته ، وإدراك الجن لذلك (١٤)

تعرض الأحداث فضل الله على الشاكرين ، وعلم الجن المحدود بحدود الظاهر ، أما الغيب فهو من علم الله وحده لا يشركه فيه أحد .

ـ تعقيب : ما زال يتأكد لنا مرة بعد مرة ، دور السياق فى تحديد الوظائف المختارة من تاريخ الشخصيات ، وصولا إلى هدف تسعى القصة إلى تحقيقه ؛ ففى سورة ص نبدأ مع قوله تعالى ﴿ ص وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ(١) ﴾ ويستمر السياق مع الذكر والتذكير ، فالقرآن نزل ذكرا وتذكيرا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولقومه ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ(٤٩) ﴾ ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٨٧) ﴾ فسليمان العبد الأواب الذى آتاه الله الملك جزاء أوابيته ، لم يكن شيء أحب إليه من ذكر الله ، ونرى كيف تتوافق الوظائف المذكورة له ههنا مع السياق العام للسورة ، بدءا من انشغاله بالصافنات عن ذكر ربه ، وإسراعه بالتوبة إلى الله وسؤاله ملكا واسعا منحه الله إياه . وفى سورة النمل يخبر الله رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْءَانَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ(٦) ﴾ وهذا الحكيم العليم هو الذى آتى داود وسليمان العلم ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ... (١٥) ﴾ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(١٦) ﴾ وهو الذى أعطى محمدا القرآن آية بينة . والله تعالى وحده عالم الغيب ، والجن الذين عملوا لسليمان كل ما عملوا ، لاطاقة لهم على معرفة شيء منه ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(٣) ﴾ سبأ .

ـ قصة أصحاب الكهف :

أ ـ إجمال :

الإيواء إلى الكهف ، النوم ، البعث (٩ ـ ١٢)

ب ـ تفصيل :

١ ـ الإيواء إلى الكهف (١٣ ـ ١٨)

٢ ـ بعثهم ، والعثور عليهم (١٩ ـ ٢١)

٣ ـ الاختلاف فى عددهم ، وفى مدة لبثهم فى الكهف (٢٢ ـ ٢٦)

تبدأ الحكاية بعرض موجز ، يُجمل أحداث الإيواء إلى الكهف ، والنوم ، والبعث . ثم يُفصل الحديث بعد ذلك عن هؤلاء الفتية المؤمنين الذين فروا بدينهم إلى الله ؛ فآواهم ونصرهم وجعلهم للناس آية .

ـ قصة قارون :

ـ فى سورة القصص :

١ ـ قارون وبغيه على قومه (٧٦)

٢ ـ نصح قومه له (٧٦ ـ ٧٧)

٣ ـ اغتراره بما عنده ، واستكباره أن يقبل النصح (٧٨)

٤ ـ افتتان الضعفاء به (٧٩)

٥ ـ نصح المؤمنين لهم (٨٠)

٦ ـ انخساف الأرض بقارون وداره (٨١)

٥ ـ انتباه الضعفاء من غفلتهم (٨٢)

إنها قصة قارون وبغيه على قومه ، واستكباره أن يقبل نصح الناصحين منهم ؛ فكان أن خسف الله به وبداره الأرض . ولنر كيف تتناسل الوظائف ؛ اللاحقة من السابقة : فقد انتبه الضعفاء من غفلتهم ؛ لأنهم رأوا ما حاق بقارون من خسف له ولداره ؛ وقد حدث هذا الخسف نتيجة لكِبْره وبغيه .

- قصة أصحاب الجنة :

- فى سورة القلم :

١ - عزمهم على الانفراد بثمرها دون المساكين (١٧ - ١٨)

٢ - إهلاك الجنة أثناء نومهم (١٩ - ٢٠)

٣ - الاجتماع ، والذهاب لجمع ثمار الجنة (٢١ - ٢٥)

٤ - التلاوم والرجوع إلى الله (٢٦ - ٣٢)

إنها قصة نفر عادوا إلى ربهم نادمين ؛ لأن ربهم عجل لهم العذاب ؛ حيث انتووا الانفراد بما آتاهم من نعيم .

- قصة ابنى آدم :

- فى سورة المائدة :

١ - القربان (٢٧)

٢ - التهديد (٢٧ - ٢٩)

٣ - القتل (٣٠)

٤ - مجىء الغراب (٣١)

٥ - الندم (٣١)

ما تزال ميزة القصص المفرد التى تتجلى فى تماسك وظائفه تظهر فى قصة ابنى آدم : فالقاتل من ابنى آدم ندم ؛ لأنه عجز أن يكون مثل الغراب ؛ إذ لم يوار سوءة أخيه حيث قتله ؛ وقتله ، لأن الله تقبل قربان أخيه ولم يتقبل قربانه ؛ والله لم يتقبل قربانه ، لأن الله إنما يتقبل من المتقين . فابن آدم (القاتل) لم يكن من المتقين ؛ فلم يتقبل الله قربانه ؛ فتوعد أخاه الذى تُقُبّل منه ؛ وقتله ؛ ولم يدر ما يفعل به ، حتى رأى غرابا يبحث فى الأرض ؛ ليعلّمه كيف يوارى سوءة أخيه ؛ فندم إذ اكتشف عجزه عن أن يكون مثل هذا الغراب .

- قصة صاحب الجنتين :

- فى سورة الكهف :

١ - رجلان أوتى أحدهما زينة الحياة الدنيا (٣٢ - ٣٤)

٢ - مفاخرته لصاحبه ، ونصح صاحبه له (٣٤ - ٤١)

٣ - ضياع الجنتين ، والندم (٤٢ - ٤٣)

إنها قصة غافل ضاعت جنتاه ؛ حيث لم يؤد شكرهما لله المانح ، وتكبر وتاه بما عنده . لقد ندم ؛ لأن الجنتين قد ضاعتا ؛ وهما قد ضاعتا لأنه لم يؤد شكرهما ؛ وهو لم يؤد شكرهما لأنه ظلم نفسه بجحود نعمة ربه .

- قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام :

ا ــ فى سورة مريم (٤٤) :

١ - زكريا يُرزق بيحيى (٢ ـ ١٥)

٢ - قضاء الله بكون عيسى من مريم بغير أب (١٦ ـ ٢١)

٣ - ميلاد المسيح (٢٢ ـ ٢٦)

٤ - عودة مريم إلى أهلها ، وكلام عيسى فى المهد (٢٧ ـ ٣٣)

ههنا قصة ميلاد عيسى ، ومعجزة طفولته .

ب - فى سورة الأنبياء (٧٣) :

١ - زكريا يُرزق بيحيى (٨٩ ـ ٩٠)

٢ - مريم وابنها آية للعالمين (٩١)

وههنا قصة فضل الله على عيسى ووالدته .

جـ - فى سورة آل عمران (٨٩) :

١ - ميلاد مريم (٣٥ ـ ٣٧)

٢ - مريم فى كفالة زكريا (٣٧ ـ ٤١)

٣ - اصطفاء الله لمريم (٤٢ ـ ٤٣)

٤ - تبشيرها بعيسى (٤٥ ـ ٤٨)

٥ - رسالة عيسى (٤٩ ـ ٥١)

٦ - كفر بنى إسرائيل ومكرهم (٥٢ ـ ٥٤)

٧ - رد مكر الكافرين (٥٥ ـ ٥٧)

تبدأ الأحداث من قبل ميلاد مريم المنذورة لله ، التى تولد ويكفلها زكريا ، فيرى من كراماتها ما يجعله يدعو ربه أن يهبه ذرية طيبة ؛ فيستجيب الله له ويهبه يحيى مع كبَره وعقر امرأته ، وبعد ذلك يهب مريم ولدا بقدرته التى وهبت زكريا من قبل الولد ـ ومن ثم يعده للرسالة ويرسله إلى بنى إسرائيل مؤيَّدا بالمعجزات ؛ فيكفرون به مع ذلك ، ويمكرون به ، فينجيه الله من مكرهم .

د ـ فى سورة المائدة (١١٢)

١ ـ تذكير الله لعيسى ابن مريم بنعمته عليه وعلى والدته (١١٠)

٢ ـ إيمان الحواريين ، وطلبهم المائدة (١١١ ـ ١١٤)

٣ ـ إنزال المائدة ، وتوعد الكافرين (١١٥)

٤ ـ حوار ـ بين الله وعيسى ـ حول وحدانية الله (١١٦ ـ ١١٨)

تدور الأحداث حول قضية التوحيد : فالله تعالى قد أنعم علىعيسى وعلى والدته ، وجمع حوله قلوب الحواريين ، فهو ربه الخالق المتصرف ، ثم يؤكد للمكذبين كذبهم ؛ إذ لم يقل عيسى للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، بل دعاهم إلى عبادة الله ربه وربهم .

ـ تعقيب :

تقترن قصة عيسى دائما بقصة زكريا عليهما السلام ، التى تأتى تمهيدا لهذا الحدث الخارق (ميلاد بغير أب !) وفى المائدة ليست القصة فى حاجة إلى هذا التمهيد (بقصة زكريا) لأننا فى القيامة و فى الحساب ، حيث لا دعوة ، ولا إيمان ، ولا كفران ، وإنما جزاء على ما كان .

ـ خصائص المتن القصصى فى القرآن الكريم :

رأينا ، فيما مر علينا من قصص قرآني ، أن ثمة قصصا يرد أكثر من مرة في مواضع مختلفة من الكتاب الحكيم ، وآخر يرد ذكره مرة واحدة فقط ، وأن النوع الأول يأتي في كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف ، كما رأينا في قصص : آدم ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ... وفيها جميعا ، نجد نواة وظيفية تتكرر ، فيما عدا قصص آدم الذي يمثل مقدمة وسببا في وجود هذه النواة : نقرأ في ختام قصة آدم من سورة البقرة قوله تعالى﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨)وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٣٩) ﴾ ثم تتوالى القصص بعد ذلك : يأتي الهدى من الله ؛ فيتبعه الناجون ، ويكذب به الهالكون . ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التي انبنى عليها جميع القصص التالي :

١ ـ الدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢ ـ الرفض والاستكبار .

٣ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

هذه البنية تقابلنا في كل مرة في القصص المذكور ، تتغير الشخصيات ، بينما تظل وظائفها ثابتة : تظل الدعوة ، ويظل التكذيب ، وتظل العاقبة ... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها ، كلما كانت فترة نسي فيها الإنسان عداوة الشيطان ، ووعيده القديم .

غير أن الهدف الذي تأتي من أجله القصة ـ من قصص النبي الواحد ـ يجعلها تختلف ، في كل مرة ، في بنيتها الوظيفية فيكون التركيز على وظائف دون غيرها ، ويكون بحضور وظائف أو غياب أخرى ؛ مما يؤثر في متتالية الوظائف ؛ فيجعلها بالتالي قصة جديدة في كل مرة كما مر بنا من قبل .

وأما القصص مفرد الذكر فى القرآن ، فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه ، تماسكا منطقيا ، زمنيا فى الوقت ذاته ، بحيث تقوم كل وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطى تسلسلى ، غالبا ، وكل وظيفة لها دورها الذى يحدده السياق .

٢ ـ شخصيات السرد

تحدثنا فيما مر عن المكون الأساسي الأول للمتن الحكائى (الأحداث) ونتناول الآن المكون الأساسى الثاني وهو الشخصيات . ولكى نتعرف على شخصياتنا الحكائية في قصص القرآن أمامنا أكثر من طريق : فهناك الأفعال التى تقوم بها الشخصية ، والأوصاف التى توصف بها ؛ وهناك أيضا ما تقوله الشخصية عن نفسها ، وما يقوله عنها الآخرون ، سواء كانوا معها أو ضدها . وأهم من كل هذا ، هناك العلاقات القائمة بين تلك الشخصيات ، والتى تقوم بدور كبير فى الكشف عن طبيعة الشخصية السردية .

ـ فى قصص آدم عليه السلام :

يقابلنا ثلاث شخصيات ، هى : الملائكة ، وآدم ، والشيطان :

الملائكة : كائنات مفطورة على الطاعة ﴿ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ فى سور : البقرة ، والأعراف ، والإسراء ، والكهف ، وطه ﴿ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ( ) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ فى سورتى : الحجر ، وص . فهى كما نرى نماذج للطاعة و التسليم دون مراجعة أو إبطاء .

الشيطان : يظهر فى هذا القصص نموذجا للعصيان المطلق ، والاستكبار ، والحقد ... خلقه الله من نار السموم ، فلم يحجم عن عصيان أمر ربه بالسجود لآدم ؛ وتبجح واستكبر معلنا رأيه ﴿ قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٣٣) ﴾ الحجر ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(٦١) ﴾ الإسراء ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(١٢) ﴾ الأعراف ـ غافلا عن ذلك العنصر الكريم الزائد على الطين فى آدم ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ فى سورتى : الحجر (٢٩) و ص (٧٢) أعماه الحسد لهذا

المخلوق ، ثم ما لبث هذا الحسد أن تحول إلى حقد طاغ ؛ حين أخرج من الجنة مطرودا من رحمة ربه ؛ إذ رأى أن آدم هو السبب فى كل هذا ؛ فأعماه حقده ، مرة أخرى ، عن التوبة والاستغفار ، وقد أنظر إلى يوم البعث ، فعقد العزم على الانتقام من آدم وذريته ؛ وتبجح أمام ربه مجددا ؛ مقسما ليغوين ذلك المخلوق الذى كرمه الله ، ولا يترك فى سبيل ذلك طريقا إلا سلكه ، ولا جهدا إلا بذله .

وآدم : نموذج ثالث ؛ خلقه الله من صلصال من حمإ مسنون ؛ ثم نفخ فيه من روحه ، وأولاه رعايته دائما ؛ فأمر الملائكة بالسجود له تكريما ، ثم حذره من إبليس عدوه الأول ـ و حتى بعد أن أغواه إبليس بالأكل من الشجرة المحرمة ، نجد الله لا يتركه ، لأنه لا يتمسك بالمعصية كإبليس بل يتوب عنها ، فيتوب الله عليه ، ويهديه إلى طريق الجنة إذا أراد أن يعود ؛ فهو يرعاه دائما .

فشخصية آدم ليست كالملائكة فى طاعتهم المطلقة . وليست كالشيطان فى عصيانه المطلق ؛ بل هى نموذج متوسط بينهما ، لديه استعداد مزدوج لأن يكون مطيعا ، أو أن يكون عاصيا . فهو يترجح بين الحمأ المسنون (مادته التى خُلق منها) وبين ما فيه من روح الله ، وميزان ذلك إرادة منحها الله إياه ﴿ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(٣٥) ﴾ البقرة ﴿ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(١٩) ﴾ الأعراف ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى(١١٧) ﴾ طه ؛ فالله يربى فيه هذه الإرادة بمنعه من الشجرة فى الجنة وبتحذيره من الشيطان فلا ينسى عهد الله . لكن آدم ليس ملكا ، وإن فيه لضعفا يستغله الشيطان ، وينفذ إليه منه ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ(٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(٢١) ﴾ الأعراف ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ

- فى قصص نوح عليه السلام :

نجد نموذج الخير متمثلا فى رسول الله إلى البشر - نوح - الذى أطاع أمر ربه ، وصبر على قومه وتكذيبهم إياه واضطهادهم له مدة الرسالة ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا (١٤) ﴾ العنكبوت . لم يقعد عن دعوتهم ، ومحاولة هدايتهم إلى الحق الذى لا يرون ، وإزالة غشاوة الباطل عن قلوبهم ، وتبصيرهم بأنوار الإيمان . كان لقومه أخا ناصحا صادقا فى نصحه ، أخذهم باللين وتلطف معهم ، مقابلا اتهاماتهم وتكذيبهم إياه بسماحة النبى وتلطفه ، واثقا بالحق الذى جاءهم به ، مطمئنا إلى ربه الذى أرسله ، لا يقابل تبجحهم بمثله ، شأن الكبير النفس إذ يتغاضى عن زلات صغار النفوس ؛ أملا فى إصلاحهم ؛ لكنهم لا يرعوون ، فيكشف لهم جانبا من الحقيقة ﴿ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ (٣١) هود . إنه لا يعدهم بشىء لأنه لا يملك شيئا ﴿ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ(١١٥) ﴾ الشعراء . من أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه فقد أبى ﴿ وَلاَ يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٣٤) ﴾ هود . ثم تحداهم جميعا ﴿ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنْظِرُونِ(٧١) ﴾ يونس . وحين تمادوا فى غيهم استنصر بربه ﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ(٢٦) ﴾ ﴾ المؤمنون ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ(١١٧)فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(١١٨) ﴾ الشعراء .

ونجد النموذج المقابل - نموذج الشر - أتباع الشيطان - وهم الملأ المستكبرون من قومه ، لا يرون الحق ، ولا يشعرون بالخير ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(٦٤) ﴾ الأعراف ؛ هذا وصفهم ، وهذا فعلهم - التكذيب - لا عن رأى وحجة وبصيرة ، وإنما عن استكبار ، واستعلاء ، وتجبر ؛

نقرأ قولهم فى الأعراف ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٦٠) ﴾ ولا يقولون شيئا بعدها ؛ وفى هود يقولون : ﴿ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ(٢٧) ﴾ فهو بشر ، وأتباعه من السفلة الضعاف ، ولا فضل لهم جميعا من مال أو جاه أو سلطان ﴿ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ(٢٤)إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ(٢٥) ﴾ المؤمنون . وحين غلبوا بالحجة وضاقت صدورهم عن الحق ﴿ قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٣٢) ﴾ هود . تاركين الجدال إلى التحدى ، فزعين إلى ما لديهم من قوة وسلطان ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ(١١٦) الشعراء ...... هذا هو نموذج الشر متمثلا فى المترفين المطموس على قلوبهم ؛ لا يرون حقا ، ولا ينكرون باطلا ، إنما هى الدنيا ، والمجد فيها والعلو و السلطان ، فإن كانت رسالة فلتكن لإعلاء هذا السلطان ، كلامهم محدود (جهلا) يعتمدون على قوتهم المادية ، ولا يقبلون توجيها أو إرشادا .

وثم نموذج ثالث : المؤمنون مع نوح ، نراهم من منظورين مختلفين : من منظور الكافرين ؛ فهم أراذل ، سفلة فقراء ، ضعفاء ، لا رأى لهم ولا نظر ، ففى هود نقرأ ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ وفى الشعراء ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ(١١١) ﴾ وفى سورة هود يعرض نوح نظرتهم لأصحابه ﴿ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ .

ونراهم من منظور نوح عليه السلام : مؤمنين ، مهتدين ، عرفوا الحق فاتبعوه ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا (٢٩)﴾ هود ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ(١١٤)﴾

الشعراء .   وهكذا لا نسمع منهم شيئا ، و إنما نعرفهم من خلال ما يقال عنهم ، أو من خلال ما يوصفون به ، دون أن يظهروا ، أو أن يظهر من أفعالهم غير الإيمان والتسليم .

ـ فى قصص هود عليه السلام :

نجد النموذجين المتقابلين : الخير ، والشر . نموذج الخير المتمثل فى نبى الله هود ، المرسل من ربه بالهدى إلى قومه ، ليدعوهم إلى ترك سبيل الشيطان ، واتباع هدى الله - فى صبر ، وحلم ، وإحسان ، وإغضاء عن سفههم وسوء أدبهم ؛ ثم فى حسم ، وإنذار ، وتوعد .

وفى المقابل نجد نموذج الشر متمثلا فى الملأ المستكبرين ، المكذبين ، المستهزئين من قومه ، إنهم خلفاء الملأ من قوم نوح ، أعطوا بسطة فى الأبدان ، وقوة فى السلطان ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً (٦٩) ﴾ الأعراف ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ (٥٢) ﴾ هود ﴿ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣٣) ﴾ المؤمنون ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ(١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(١٣٤) ﴾ الشعراء ؛ أنجز فيهم الشيطان وعده ؛ فقادهم إلى الكفر والبطر ؛ فكانوا يستخدمون قوتهم فى التفاخر والتباهى والعبث ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ(١٢٨)وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ(١٢٩)وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ(١٣٠) ﴾ الشعراء ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً (١٥) ﴾ الشعراء .

هكذا صفتهم : ضخام الأجسام ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، إنما يتهجمون فى شراسة ورعونة على ما يخالف مألوف قلوبهم ، وما اعتادت عقولهم ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا (٧٠) ﴾ الأعراف

﴿ قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ(٥٣) ﴾ هود . فتحدوا ـ بجهلهم ـ نبى الله دون تدبر لما جاء به ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٧٠)﴾ الأعراف ؛ إغلاقا لباب النصح والإرشاد من نبى الله لهم ، وتكذيبا لإنذاره ، واستهزاء بصدقه فيما جاء به من ربه ، فكان هلاكهم ، ثم صفتهم بعد موتهم ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ(٧) ﴾ القمر . أو ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠)﴾ الحاقة ؛ لضخامة أجسامهم ، وقوتهم التى لم تغن عنهم من الله شيئا .

وأما النموذج الثالث ، الذين آمنوا مع هود فلم يذكروا إلا مرتين : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ الأعراف ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ(٥٨) ﴾ هود .

ـ فى قصص صالح عليه السلام :

النموذجان ذاتهما : الخير المتمثل دائما فى المرسل بالهدى من الله إلى قومه ـ نبى الله صالح ، بصفات النبوة الثابتة .. يدعو إلى الله ، و يصطبر على دعوته ، وعلى قومه ، ولاييأس من هدايتهم . هذه وظيفته يؤديها واثقا بالحق الذى يدعو إليه ، مطمئنا بالله الذى أرسله .

ونموذج الشر المتمثل ههنا فى ثمود ، قوم صالح ، أصحاب الحضارة العمرانية الواضحة ، إذ يقول لهم نبيهم : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ... (٧٤)﴾ الأعراف ﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود. و يقول لهم ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ(١٤٦)فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(١٤٧)وَزُرُوع

وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ(١٤٨)وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ(١٤٩) ﴾ الشعراء . كانوا فى سعة من العيش ، و نعمة ، وترف ، لكنهم كسابقيهم لم يشكروها ، بل كفروا بها ، واستكبروا ، وكذبوا و عتوا عن أمر ربهم . وأنكروا نبوة صالح ، وهزءوا بدعوته ، وتعجبوا لصدورها منه وكان يؤمل فيه الخير من قبل ! لقد فسدت فطرتهم من طول ملازمتها للباطل ومجافاتها للحق ، فصارت ترى الحق باطلا ، والباطل حقا ؛ ثم اشتطوا فطلبوا آية ؛ فجاءتهم ؛ فكذبوا بها . وتبجحوا بطلب العذاب ، وتآمروا على قتله وأهله .

والنموذج الثالث موجود هنا بصوته ، حين اتجه إليهم الملأ الذين استكبروا من قوم صالح يتهددونهم وهم المستضعفون : ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ أجابوا فى ثقة المؤمن ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ إنهم أقوياء بإيمانهم ، والمستكبرون يشعرون بهذه القوة : ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ(٧٦) ﴾ الأعراف . وكأنهما فريقان متساويان ؛ متقابلان .

ـ فى قصص لوط عليه السلام :

ههنا نجد نموذجى الخير والشر ، ينضاف إليهما نموذج الملائكة ، الذى رأيناه من قبل ؛ وقد كانت كائنات مفطورة على الطاعة والتسليم دون إبطاء . وهنا نراهم قليلى الحديث ، يقولون حسب الحاجة ، ويبلغون أمر الله دون تزيد . جاءوا إبراهيم ؛ فأعد وليمته وقدمها إليهم ، وجلس ينتظر أن تمتد أيديهم إليها ..... كل هذا دون أن يدور بينهم حوار يعرفهم فيه ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ(٧٠) ﴾ هود ﴿ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ(٥٣) ﴾ الحجر .

ثم يتماهى حديثهم فى حديث الرحمن سبحانه ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ(٧١) ﴾ هود . فهم كما نرى مؤدون عن الرحمن ، منفذون إرادته ومشيئته ، إنهم لا يفعلون شيئا من تلقائهم ، ولا يقولون من عندهم ، إنهم ممثلوا الرحمن فى الأرض رسلا إلى البشر ، إيمانهم بالله مطلق ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ(٧٣) ﴾ هود . ثم يحدث التماهى مرة أخرى ، ويتأكد تمثيلهم لله وقيامهم بأمره ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ(٧٤)إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ(٧٥)يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ(٧٦) ﴾ هود . وفى الحجر ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ(٥٨)إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ(٥٩)إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ(٦٠) ﴾ فمن الذى يقدر غير الله .

ويعودون إلى صمتهم مرة أخرى عند لوط الذى ﴿ سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ(٧٧) ﴾ هود . وتركوه فى حيرته وضيقه ، يجادل فيهم قومه ، حتى ﴿ قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ... (٨١) ﴾ هود .

ونجد نموذج الخير فى لوط الرسول ، الذى جاء بالخير إلى قومه ، يدعوهم إلى ترك ما هم فيه من شذوذ ، وينذرهم عاقبة ذلك ، ويدافع عن ضيفه بكل ما يملك .

ونموذج الشر فى قومه : قوم شواذ ، منحرفوا الفطرة ، فاسدوا المزاج ، مسرفون على أنفسهم ، ظالمون لها ، ابتدعوا فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين ، فيقول لهم نبيهم : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ العنكبوت . يدعوهم إلى الهدى فلا

يزيدون إلا عتوا ، وتبجحا ، وضلالا ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٨٢) ﴾ الأعراف . وفى النمل : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٥٦) ﴾ بعد أن هددوه ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ(١٦٧)﴾ الشعراء . لكنهم لم يصبروا فاستسرعوا العذاب : ﴿ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٢٩)﴾ العنكبوت ؛ فالقلوب لاهية ، والعقول مريضة ، والشهوة فائرة حائرة .

ـ فى قصص شعيب عليه السلام :

النموذجان المتقاطبان : الخير ، والشر ـ شعيب نموذج الخير : كسابقيه من الأنبياء ، ويزيد فصاحة فى مراجعته لقومه ، وحسن تأتيه فى دعوته لهم إلى الإيمان برسالته ، ومع ذلك يقابلنا لأول مرة اتهام قوم لنبيهم مثل هذا الاتهام ﴿ قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ... (٩١) ﴾ هود .

وقومه ، نموذج الشر ، أتباع الشيطان ، مشركون ، مفسدون فى الأرض ، يبخسون الناس حقوقهم ، بتطفيف الكيل ونقصان الوزن ، ويقطعون السبيل ويخيفون المارة فيه ، ويعبدون الأيكة ، ويصدون الناس عن سبيل الله ، ويفتنونهم عن الدين الحق . حين دعاهم شعيب إلى انتظار حكم الله ، ولكلٌ دينه الذى يدين ؛ لم يرضوا أن يكون للحق وجود ، وتبجحوا بقولهم : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا.... (٨٨) ﴾ الأعراف . فإما كفر معهم ، أو إخراج من بينهم . ومن قبل سخروا منه ﴿ قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ(٨٧) ﴾ هود . هكذا قادهم هواهم ، وهكذا تحجرت عقولهم ، فلم تعد تعقل ولا تتدبر ، فلم يبق إلا الهزء والسخرية

﴿ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ثم أعلنوا عن موت قلوبهم ، وجمود عقولهم عن الفهم الصحيح ، واختصروا الجدل ، متكئين على قوتهم ﴿ قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ(٩١) ﴾ هود . وقالوا كما قال الذين من قبلهم : ﴿ وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ(١٨٦) ﴾ الشعراء . ومن ثم يظهر الجهل ، وتظهر الجهالة والاستهتار ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٨٧) ﴾ الشعراء .

والنموذج الثالث : يتحدث عنهم شعيب ، فهم منه ، وهو منهم ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ ... (٨٦) ﴾ الأعراف . ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ .... (٨٧) ﴾ الأعراف . ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ... (٨٨)﴾ الأعراف . ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ... (٩٤) ﴾ هود .

ـ فى قصص موسى عليه السلام :

فى هذا القصص نلتقى بشخصيتين رئيسيتين : موسى ، وفرعون . موسى نموذج الخير ، المرسل بالهدى من الله إلى آل فرعون ليساعدهم على الخلاص مما هم عليه من كفر وفساد ، رعاه الله منذ مولده ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(٣٩) ﴾ طه . وآتاه العلم والحكمة ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٤) ﴾ القصص وفيما بعد ذلك يتجلى أثر هذا العلم وتلك الحكمة فيما يأتى به من أفعال ، أو يجرى على لسانه من أقوال ؛ فهو رابط الجأش ، ثابت الجنان ، فصيح فى كل حواراته مع ربه : فى التعبير عن أهم متطلبات الدعوة ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(٢٥)وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(٢٦)وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي(

٢٧)يَفْقَهُوا قَوْلِي(٢٨)وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي(٢٩)هَارُونَ أَخِي(٣٠)اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي(٣١)وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي(٣٢) ﴾ طه . ومحاذير يخشاها ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ(١٢)وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ(١٣)وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ(١٤) ﴾ الشعراء . وحين سُئل عن عصاه ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى(١٨) ﴾ طه . وكان مازال يعانى رهبة اللقاء الأول بربه . وهو كذلك فصيح فى كل حواراته مع فرعون ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ(١٨)وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(١٩)قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(٢٠)فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٢١)وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(٢٢) ﴾ الشعراء . تتجلى هنا فصاحة موسى عليه السلام فى رده على فرعون حيث لم يراع ترتيب كلامه فبدأ بتفنيد اتهامه له بالكفر " بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربئا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ، ثم كر على امتنانه له بالتربية ، فأبطله من أصله " ([1]) ؛ فنعمة فرعون التى يمنها على موسى لم تكن فى حقيقة أمرها غير نقمة ابتلى بها قومه بنو إسرائيل ؛ إذ لولا اضطهاده لهم ، وما كان من تقتيله لأبنائهم ، لما ألقى موسى فى اليم ، ولما وصل إلى بيت فرعون وتربى فيه .

وأما هربه من الجان الذى انقلب عن عصاه ؛ فلأنه كان لم يستوعب الأمر بعد ، وما زال الغموض والرهبة يملآن جوانب اللقاء الأول بالله رب العالمين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الخوف الشديد الذى انتابه ، سيتحول إلى طمأنينة شديدة فيما بعد ، وهو يواجه سحرة فرعون لا بشىء غير تلك العصا الذى رأى من أمرها ما رأى . وثم موقف آخر كان أولى بالخوف والهلع ، لكنه كان فيه ثابتا ، وذلك حين تبعهم فرعون وجنوده ، وأيقن بنو إسرائيل أنهم

---

(١) الزمخشرى : الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل . ط٣ القاهرة ١٩٨٧ : ٣/ ٣٠٦

مدركون ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(٦١)قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(٦٢) ﴾ وأما إلقاء الألواح ، وأخذه برأس أخيه يجره إليه (الأعراف ١٥٠) فإنما كان ذلك غضبا لله مما فعل بنو إسرائيل فى غيبته ؛ حيث عاد من ميعاد ربه فوجدهم يعبدون العجل الذى صنعه لهم السامرى . ذلك الغضب الذى يتبدى لنا مرة بعد مرة فى قصته مع العبد الصالح ، فبعد أن وعده بأن يكون متعلما صابرا ولايعصى له أمرا ؛ نجد طبيعة الغضب للحق تنسيه هذا الوعد ، وكان بعد لم يعرف الحكمة من أفعال الرجل ؛ لقد كان يرى الحق حقا فيؤيده ، ويرى الباطل باطلا فينكره ، ويغيره إن استطاع ؛ إنه ليس نموذج الزعيم المندفع العصبى المزاج (٢) ربما اندفع مرة فى شبابه فقتل عدوه القبطى ، حين رآه يقاتل الذى هو من شيعته ، لكنه لم يلبث أن عاد إلى ربه نادما على ما فعل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(١٦) ﴾ وكان ذلك منه غضبا للحق الذى يراه ويؤمن به ، فهو لايرضى عن ذلك القهر والاضطهاد الذى يمارسه قوم فرعون مع بنى إسرائيل . وكما رأينا فقد صدرت أفعاله عن حكمة آتاه الله إياها ، منذ مطلع شبابه ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ... (١٤) ﴾ القصص .

وفرعون ، نموذج الشر . المعارض الأول لدعوة موسى عليه السلام ، من صفاته التى تتجلى فى القصص القرآنى من خلال علاقاته بالآخرين : الضعف الشديد ؛ فلم يقاوم الدعوة الجديدة بقوة ، وإنما بخور بين ، وخوف كامن من مجهول ؛ ففى رده على موسى يتساءل فحسب ، وكأنه يريد أن يعرف من أمر ذلك الرب ما يرجح عنده أحد أمرين ؛ فهل هو (فرعون) الإله الأوحد ، أم أن كل هذا محض كذب نشأ عليه ، ولا أساس له من الصحة ، وثم إله آخر يستحق أن يُعبد : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ(٢٣) ﴾ الشعراء ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(٤٩) ﴾ طه

(٢) سيد قطب ، التصوير الفنى فى القرآن . دار الشروق ، ط١١ ، ١٩٨٩، ص ٢٠٠

﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٠٦) ﴾ الأعراف ، وحين يشتد غضبه لا يفعل شيئا غير أن يتهمه بالسحر ، ويتحداه بسحرته ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى(٥٧)فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى(٥٨) ﴾ أو أن يهدده بقول ولا يتحرك لفعل شيء مما يقول : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ(٢٦) ﴾ غافر ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ(٢٩) ﴾ الشعراء . ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤)وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ(٥٥)وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ(٥٦) ﴾ الشعراء . هكذا دائما يهدد بالقول ولا يفعل ، كأنما يخاف الاقتراب من موسى لأمر ما . وهو يبدو فى مواقف كثيرة قليل العلم ، ضعيف الحجة ، بليد الذهن : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ .... (١٢٣) ﴾ الأعراف ، وطه (٧١) وفى القصص : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٣٨) ﴾ وفى الشعراء : ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ(٢٧) ﴾ لذلك يعتمد كل الاعتماد على الملإ من قومه يوجهونه كيف شاءوا : ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ(١٢٧) ﴾ .

وثم السحرة ، شخصياتهم واضحة محددة ، واثقون مما عندهم من علم ، سواء فى حال اتباعهم فرعون : ﴿ قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى(٦٥) ﴾ طه . أو فى حال إيمانهم بالله رب العالمين ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٧٢)إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى(٧٣)إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا(٧٤)وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى(٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى(٧٦) ﴾ طه . هكذا وكأنهم مؤمنون من زمن بعيد ، ويعرفون كل شيء عن هذا الدين الذى اتبعوه وقدموا نفوسهم رخيصة فى سبيله .

وآل فرعون ، شخصيات خفية ، تنفث سموم أفكارها فى أذن فرعون ، فتقوده إلى هلاكه ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ(١٢٧) ﴾ الأعراف . يرددون كلام المترفين فى كل عصر ليُنهوا الموقف فى سرعة ودون جدال كثير ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ(٣٦) ﴾ القصص . وهم فوق ذلك حانثون فى وعودهم ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ(١٣٥) ﴾ الأعراف .

وبنو إسرائيل ، هلعون ، شاكّون فى نصر الله لهم ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(١٢٩) ﴾ الأعراف . مترددون فى إيمانهم ؛ يعبدون الله تارة ، ويطلبون غيره أخرى ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(١٣٨) ﴾ الأعراف . قلة عقلهم ظاهرة ، وجهلهم بين ، وإضلالهم من أسهل الأشياء ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ(١٤٨) ﴾ الأعراف . وفى طه ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ(٨٨)أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا(٨٩)وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي(٩٠)قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى(٩١) ﴾ .

وفى مدين نقابل أبا المرأتين ، بفطنته الواضحة وذكائه الوقاد ؛ الذى يتجلى فى فهمه قول ابنته على الوجه الذى أرادته هى ، لا على محمل الألفاظ ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ(٢٦)قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ(٢٧) ﴾ القصص .

وثم شخصية هارون أخى موسى ، نقابلها دائما فى هدوئها الشديد وورعها وتقواها : حين أخذ موسى برأسه يجره إليه ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١٥٠) ﴾ الأعراف . وفى طه : ﴿ قَالَ يَاابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي(٩٤) ﴾ فى سماحة ولين شديدين .

ـ فى قصة يوسف عليه السلام :

ههنا يقابلنا عدد كبير من الشخصيات : يوسف ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(٤)قَالَ يَابُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٥) ﴾ هذا يوسف القريب إلى قلب أبيه ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ... (٨) ﴾ يحكى لأبيه رؤياه ، فيحذره من إخوته ، الذين يكيدون له ، مع ذلك ، فيجعلوه فى غيابة الجب ؛ فيلتقطه بعض السيارة ؛ فيبيعونه لمصرى يؤمل فيه الخير . نحن هنا أمام غلام يتعامل ببراءة مع الآخرين الذين تربطهم به علاقات : علاقة حب من أبيه ، وعلاقة كراهية من إخوته ، تستمر حتى نهاية القصة ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ

لَهُ ... (٧٧) ﴾ وهناك علاقة أخرى تتمثل فى رعاية ربه له حين ألقى فى الجب ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ(١٥) ﴾ .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٢٢) ﴾ وإحسانه فيما يلى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢٣) ﴾ : شاب يافع ، وأبواب مغلقة ، وامرأة تعرض نفسها ؛ لكنه لا يتلجلج بل يردها فى وضوح ، وصرامة ؛ إن سلوكه محدد قبلا ؛ لقد رأى برهان ربه : رآه هنالك حيث ألقى فى الجب - ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ﴾ ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ فلم يمل قلبه لشىء من ذلك ، وذلك مثل قوله تعالى ﴿ لَوْلاَ أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(٤٩) ﴾ القلم ؛ فهو لم ينبذ بالعراء ، لتدارك نعمة ربه له . وامرأة العزيز نفسها تقول فى اعترافها بعد ذلك : ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ . ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ حركة غليان المرجل تبدأ باستباقهما الباب وقدها لقميصه غيظا منه ، و تستمر حين يلفيا سيدها لدى الباب ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٥)﴾ لكن يوسف لم يفعل ، بل لم تحدثه نفسه بشىء من ذلك ؛ فلم يتردد فى وصف ما كان : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ .... ثم كان ما كان من أمر الشاهد من أهلها ، والعزيز ، ونسوة فى المدينة .

أمامنا الآن شاب يافع ، يتصرف بحكمة مع الآخرين الذين تربطهم به علاقات : علاقة الرغبة من امرأة العزيز ، يقابلها رفضه لتلك الرغبة . وعلاقة الإكبار من نسوة المدينة ، ووجهها المقابل هو غيرتهن من امرأة العزيز ، التى تنتقم منهن ، وتطلب مساعدتهن لها فيما تريد من يوسف ؛ ولكن ثم دائما رعاية ربه له ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ .

وهناك علاقات أخرى : بين العزيز وامرأته ، حيث العزيز مُغَيَّب منذ البداية ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ موقعه فى الكلام مفعول به ، ولم نسمع منه شيئا إلا بعد أن هدأت الأحداث ، إذ قال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ(٢٩) ﴾ تاركا الحال كما هو. وامرأته حضورها طاغ ، ضعيفة أمام رغبتها العارمة ، راودت يوسف وقد نشأ فى بيتها ، كابنها . قوية الأعصاب لم تتلجلج أمام زوجها وقد رآها فى موقف دقيق ، و إنما بادرته بذهن واع ، وبديهة حاضرة ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٥) ﴾ وتمادت فى مجونها لترد على مكر النسوة ، ثم تعلن فى فجور : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ(٣٢) ﴾ .

ولبث فى السجن بضع سنين ، ظهر فيها علمه بتأويل الأحاديث ، وحكمته ، وإيمانه بالله وحده ، ومن ثم دعوته لصاحبى السجن إلى إفراد الله بالعبادة ، واستخلصه الملك لنفسه ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦) ﴾ ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٩٠) ﴾ وهكذا نبأهم بأمرهم ، وسامحهم بقلب كبير ، إنه كان من المحسنين .

ـ فى قصص سليمان عليه السلام :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ(٣٠) ﴾ ص ، وكان من أوابيته ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ(٣١)فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ(٣٢)رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ(٣٣) ﴾ ونحن نفهم من الآيات ، أن الصافنات الجياد كانت الفتنة التى فُتن بها سليمان ثم آب إلى ربه ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ(٣٤)قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(٣٥) ﴾ ولنا أن نتساءل عن علاقة الدعاء الذى دعا به : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ - علاقة ذلك بالفتنة التى فُتِنها ، فالمنطقى أن تكون التوبة عن شىء متضمنة الاعتذار عن ذلك الشىء ، وهو استغفر ربه ثم استوهبه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ؛ فهل استوهبه ذلك الملك لأنه عقر الصافنات الجياد - مع حبه الشديد لها - تقربا إليه ، فكان الملك الذى وُهبه بديلا لتلك الخيل ، يقوم بوظيفتها ويزيد عليها من عطاء ربه ؟ ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ(٣٦)وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ(٣٧)وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(٣٨) ﴾ أما الجسد : فلعل هذا الوصف كان له بسبب جلوسه لرؤية الخيل ، ومحبا ذلك عن ذكر ربه ، فكان كالجسد الذى لاروح فيه ...... والله أعلم . فنحن مع سليمان ، مع عبد أواب آتاه الله ملكا واسعا ؛ فسخر له الريح ، والشياطين [ص (٣٦ - ٣٨) ، سبا (١٢)] وآتاه علما ، وعلمه منطق الطير ..... النمل (١٥ - ١٦)

ونحن هنا نقابل شخصيات من غير البشر ، تساهم بدور كبير فى الكشف عن طبائع شخصية سليمان ، فهناك النملة ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٨) ﴾ النمل . فالنملة كائن عاقل يفكر ويقول : إذ تحذر النمل من تحطيم سليمان وجنوده لهم ، وهم لا يشعرون ؛ فذلك منهم ليس عن عمد ، فهم ليسوا من الظالمين . وسمعها سليمان فشكر ربه . وهناك الهدهد ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(

٢٠)لأعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٢١) ﴾ النمل . فلاحظ غياب الهدهد ، ولم يتساهل بل توعده بالعذاب أو الذبح ، إن لم يأته بسلطان مبين ، وقد جاءه به ؛ فلم يشعره برضاه الكامل عنه ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٢٧) ﴾ وهو يعلم صدقه ولذلك يرسله إلى سبأ بكتاب منه ﴿ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(٣١) ﴾ بأمر صاحب القوة والسلطان ، تقول ملكة سبأ ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ... (٣٤)﴾ وحين ترسل إليه الهدية ينتفض غضبا ﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ(٣٦)ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ(٣٧) ﴾ وكان يتحدث عن فضل الله عليه ، في تعريف مباشر منه لشخصيته ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(١٦) ﴾ وهنا أراد أن يرى ملكة سبأ هذا الفضل من الله ، فنقل عرشها عنده ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ... (٤٠) ﴾ .

ومن صفاته كذلك أنه ، مع ما أوتي من علم ، إلا أن هناك علما كثيرا لم يحط به ؛ يقول له الهدهد ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ(٢٢) ﴾ فلم يكن يعلم شيئا من أمر هؤلاء القوم .

وثم ملكة سبأ : في وصف الهدهد لها ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(٢٣)وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ(٢٤) ﴾ . كانت تشرك الملأ من قومها في الرأي ، وكانت هي ذات رأي ودهاء ؛ حيث قالت رأيها في كتاب سليمان ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ(٢٩) ﴾ . وحيث قالت رأيها في الملوك ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ...

(٣٤) ﴾ وحيث رأت أن تختبر سليمان بهديتها ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(٣٥) ﴾ وحيث لم تؤمن إلا بعد اليقين ؛ فحين رأت عرشها عند سليمان أوشكت ولم تسلم ، ثم لما رأت الصرح الممرد من قوارير ، و علمت أن ذلك ليس من فعل البشر ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٤) ﴾ .

ـ في قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام :

نجد نموذج الخير : عيسى عليه السلام ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ... (٢١) ﴾ مريم فكان آية منذ ميلاده ، وكان رحمة ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا(٢٤)وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا(٢٥)فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا(٢٦)فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا(٢٧)يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا(٢٩)قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٣٠)وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا(٣١)وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا(٣٢)وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣) ﴾ ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ(٩١) ﴾ الأنبياء . هكذا ارتبط ميلاده بالمعجزة ، وجاء بني إسرائيل مؤيدا كذلك بمعجزة من الله : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ... (٤٩) ﴾ آل عمران .

وفى قوله عليه السلام ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١١٨) ﴾ المائدة . هنا نرى نفسا محملة بالرحمة للإنسانية جمعاء . وحين طلب الحواريون مائدة يأكلوا منها وتطمئن قلوبهم ويعلموا أنه قد صدقهم ويكونوا عليها من الشاهدين ؛ أسرع يطلب إنزال المائدة من ربه رغبة خالصة فى إيمانهم ، وذلك رحمة بهم .

وثم مريم ﴿ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا(١٦) ﴾ سورة مريم ، بما يحمل من معانى الإشراق والاقتراب من النور والهدى ، ثم كان ما كان من حملها وتمنيها الموت قبل هذا ، ثم إتيانها قومها تحمله بعد أن رأت المعجزة ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ(٩١) ﴾ الأنبياء . وكانت قد تقبلها ﴿ رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧) ﴾ آل عمران .

و فى قصة زكريا التى ترتبط بقصة عيسى عليه السلام ، نجد زكريا شيخا ضعيفا ، وحيدا فى قومه ، علاقته بربه وثيقة يناجيه فى حب وثقة ويدعوه رغبا ورهبا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا(٤) ﴾ مريم ، و بعدها حين يُبشر بيحيى يطلب آية ؛ فهو بشر وهذا شعور طبيعى لاجتماع النقيضين : الثقة الكبيرة بقدرة ربه على أن يهب له غلاما ، والقلق لطبيعة الحال من كبره وعقم امرأته .

ـ فى قصة قارون :

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ .... (٧٦) ﴾ القصص . كان إسرائيليا باغيا على قومه ، ثريا واسع الثراء ، مغرورا

بماله ، متكبرا على النصح والعظة ، مصرا على الفساد ، لا يأتى من كلامه إلا قوله : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾ (٧٨) وبعد ذلك يُعرض فى لقطة سريعة ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ (٧٩) كانت فتنة لقومه ؛ فانقسموا إلى فريقين :

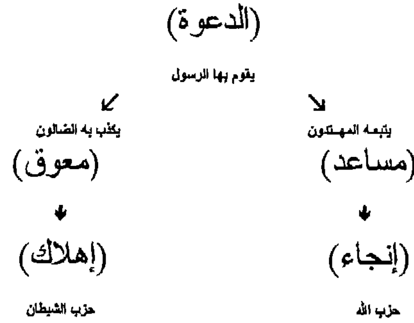
الضعفاء الذين تمنوا مثل ما عنده ظانين أن ما هو فيه رضا من الله عليه . ولم تزل غشاوة أبصارهم إلا بعد هلاكه ، فعلموا أن الله يوسع الرزق ، ويقدره بحسب الحكمة والمشيئة ، لا بحسب الكرامة والرضى ، ولا بحسب الهوان .

والفريق الآخر : المؤمنون ، العقلاء من قومه ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ يعلمون الحق ، ويفرقون بين الخير الحق الذى يدوم ، والخير الوهم الذى ما يلبث أن يزول . حاولوا تبصير الضعفاء بالحقيقة التى غابت عنهم ، فالمراد هو ثواب الله فى الآخرة ، أما فى الدنيا فذاك ابتلاء لا رضى .

ـ تعقيب :

نخلص من هذا العرض لشخصيات السرد بنتيجة واضحة ، هى سيطرة نموذجين متقابلين على شخصيات القصص : نموذج الشر ، ويبدأ مع قصة الخلق الأول ، متمثلا فى شخصية إبليس ، ويمتد إلى بقية القصص متمثلا فى أتباعه السائرين على دربه من المكذبين الضالين ؛ ويقابله نموذج الخير ، الذى يمثله دائما أنبياء الله المرسلون بالهدى منه تبارك وتعالى ، وأتباعهم من المؤمنين المهتدين .

ونستطيع ، مستضيئين بالنموذج العاملى عند Greimas [٢] ، أن نضع العلاقات القائمة بين هذين النموذجين فى الشكل التوضيحى التالى :



ومن خلال هذا الرسم نستنتج وجود نوعين من العلاقات : علاقات بين البشر وبعضهم ؛ كعلاقة الرغبة : رغبة الأنبياء فى هداية أقوامهم ، والخلاص بهم من حبائل الشيطان ؛ ورغبة المكذبين ـ اتباعا لرغبة قائدهم إبليس ـ فى الخلاص من المؤمنين ، ورغبة المؤمنين فى هداية الضالين .

وعلاقات بين الله وأنصاره : الرعاية ، والإنجاء من مكر المكذبين وبطشهم ، والتمكين لهم .

وبين الله تعالى وحزب الشيطان من الكافرين المكذبين ؛ اللعنة والإهلاك فى الدنيا والآخرة .

---

(٢) هذا النموذج وضعه Greimas معتمدا على الفصل السادس بصفة خاصة من كتاب بروب ، حيث استطاع من خلاله بلورة نموذج من ستة محاور متضمنة فى ثلاث علاقات رئيسية ، هى علاقة الرغبة Désir وعلاقة التواصل Communication وعلاقة التنازع Lutte ، انظر ، Jean-Michel Adam, Le récit,P. 59 - 61 ، واعتمد Todorov على هذا النموذج فى تحليله لنسق العلاقات فى رواية " العلاقات الخطيرة " انظر : Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire,P. 138 - 144 والأدب والدلالة ، ترجمة محمد نديم خشفة ، ط١ ، ص: ٥٠

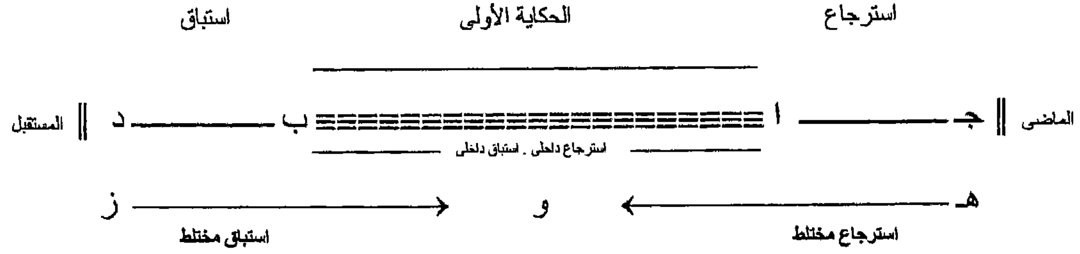
ثانيا - القصة القرآنية بوصفها خطابا سرديا

١ - البنية الزمنية فى السرد القصصى

إن دراستنا للزمن السردى ، تعنى أساسا دراسة العلاقات القائمة بين زمن المدلول وزمن الدال ؛ بين زمن القصة التى وقعت بالفعل ، وزمن السرد الذى يعيد صياغتها ، لا كما وقعت وإنما كما يريد السارد ، تركيزا على أحداث ، وتركا لأحداث ، تبعا لأهمية بعضها أو عدم أهميته ؛ فإذا كان زمن القصة تاريخى بمعنى أنه يخضع للتتابع المنطقى للأحداث وفقا لتسلسلها الزمنى ، فإن زمن السرد لا يخضع لأى قيد من ذلك ؛ مما يؤدى إلى حدوث ما أطلق عليه Genette اسم المفارقات الزمنية (Anachronies) الذى يعنى مختلف أشكال التنافر الزمنى بين ترتيب القصة ، وترتيب الحكاية ، وهذه المفارقات قد تكون هى بدورها استباقا (Anticipation) لأحداث لاحقة ، أو استرجاعا (Rétrospection) لأحداث ماضية ، ويمكن للمفارقة الزمنية - كما يقول - أن تذهب فى الماضى أو فى المستقبل ، بعيدا أو غير بعيد عن اللحظة الحاضرة ، التى يتوقف فيها السرد ، تاركا مكانا للمفارقة الزمنية ، هذه المسافة الزمنية يسميها مدى المفارقة الزمنية (Portée de l'anachronie) التى ربما اشتملت هى نفسها على مدة قصصية طويلة أو قصيرة ، هذه المدة يسميها سعة المفارقة (Amplitude) ([1])

ويمكننا وضع هذا التصور فى الرسم التوضيحى التالى ؛ **حيث تمثل المسافة (ا - ب) الحكاية الرئيسية التى يتم حكيها ، وتمثل حاضر السرد ؛ هذه الحكاية ترتبط بعلاقات مع الماضى (استرجاعات : جـ - ا / هـ - و) ومع المستقبل (استباقات : ب - د / ى - ك) :**

([1]) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972,P.89-90



- **الاسترجاعات** ([٢]) (Analepses) :

هى عودات إلى الماضى تمثل - قياسا إلى الحكاية المندرجة فيها - حكاية ثانية زمنيا ، حيث يتوقف تنامى الأحداث باستعادة أحداث ماضية بالنسبة لزمن السرد " وبصفة عامة ، فإنه بالقياس إلى مفارقة زمنية ما ، يمكن لمجموع السياق أن يمثل حكاية أولى " ([٣]) .

والاسترجاعات تنقسم إلى ثلاثة أصناف : خارجية ، وداخلية ، ومختلطة : الاسترجاع الخارجى هو ذلك الاسترجاع الذى تظل سعته كلها خارج النطاق الزمنى للحكاية الأولى ([٤]). والاسترجاعات الداخلية ، على عكس السابقة ، تظل سعتها محصورة داخل النطاق الزمنى للحكاية الأولى ، والنوع الثالث الاسترجاعات المختلطة ، تكون نقطة مداها سابقة لبداية الحكاية الأولى ، ونقطة سعتها متعدية لها ([٥]) ؛ الاسترجاعات الخارجية لا توشك فى أى لحظة أن

---

(٢) يقترح محمد سويرتى ترجمة Analepse بالبعدية ، و Prolepse بالقبلية ؛ لأنهما ، فيما يقول ، يقابلان مصطلحى Genette من حيث إبعاد الدلالة النفسية ... انظر ، محمد سويرتى : النقد البنيوى والنص الروائى ، الدار البيضاء ١٩٩١ جـ٢ ، ص: ٥٣ وما بعدها .

(٣) Gérard Genette, Figures III, P.90

(٤) Ibid. P.90

(٥) Ibid. P.90-91

تتداخل مع الحكاية الأولى لأن وظيفتها الوحيدة هى إكمال تلك الحكاية عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك ، و ليست لاسترجاعات الداخلية كذلك ، حيث إن حقلها الزمنى متضمن فى الحقل الزمنى للحكاية الأولى لارتباطها بممارسة البداية من الوسط مستعيدة السابقة السردية كلها ؛ لذلك فهى تنطوى على خطر الحشو والتضارب .

- **الاستباقات** (Prolepses) :

هنا أيضا يميز Genette بين استباقات داخلية وأخرى خارجية ؛ حيث إن حد الحقل الزمنى للحكاية الأولى يتعين بوضوح بواسطة المشهد الأخير غير الاستباقى . فالاستباقات الخارجية كذلك تظل سعتها كلها خارج النطاق الزمنى للحكاية الأولى ، بينما الاستباقات الداخلية تظل سعتها داخل نطاق الحكاية الأولى ، تماما كما فى الاسترجاع الداخلى " و تطرح الاستباقات الداخلية أنواع المشاكل نفسها التى تطرحها الاسترجاعات الداخلية ، مثل التداخل ، واحتمال ازدواج العمل بين الحكاية الأولى والحكاية التى يتولاها المقطع الاستباقى (٦) . والاستباقات التكرارية قلما توجد إلا فى حالة إشارات وجيزة ، تُرجع مقدما إلى حدث سيروى بعد ذلك بالتفصيل - وهى فى ذلك كالاسترجاعات التى من النمط نفسه - وإذا كانت الاسترجاعات التكرارية تؤدى وظيفة تذكير لمتلقى الحكاية ، فإن الاستباقات التكرارية تؤدى دور إعلان له (٧) وهو يفرق ههنا بين الإعلانات الصريحة أصلا ، وما يستحق أن يسمى طلائع ، التى هى مجرد علامات بلا استشراف ولو تلميحى ، لن تكتسى دلالتها إلا فيما بعد " فالطليعة - بخلاف الإعلان - فى مكانها من النص ، ليست - فى الأساس - غير بذرة غير دالة ، بل خفية لن تظهر قيمتها إلا فيما بعد ، وبكيفية استعادية " (٨) .

---

(٦) Gérard Genette, Figures III, P. 109
(٧) Ibid. P. 111
(٨) Ibid. P. 113

ونتيجة لدراسة العلاقات بين الزمنين (زمن الدال وزمن المدلول) نجده - إلى جانب حديثه عن الترتيب ، أو النظام (L'ordre) - يتحدث أيضا عن المدة أو الديمومة أو الاستغراق (٩) (La durée) وعن التواتر (La fréquence) .

فعن المدة يرى Genette أن مقارنة مدة السرد القصصى بمدة القصة التى يرويها هذا السرد ، عملية أكثر صعوبة من دراسة الترتيب والتواتر ؛ وذلك لسبب بسيط هو أن أحدا لا يستطيع قياس مدة سرد ما ، ومن ثم نفتقد النقطة المرجعية أو درجة الصفر التى هى فى حالة الترتيب تزامن بين المتتالية القصصية والمتتالية السردية (١٠) ، ومن ثم يرى أنه يجب العدول عن قياس تغيرات المدة إلى ملاحظة الإيقاع الزمنى ، المتمثل فى الحركات السردية الأربع : الحذف ، و الوقفة الوصفية ، و بينهما وسيطان هما المشهد ، و المجمل (١١) .

أما **الحذف** (Ellipse) : فهو أقصى سرعة يمكن أن يسير بها السرد ، و تتمثل فى تخطيه لأحداث بأكملها دون الإشارة إليها ، وكأنها ليست جزءا من المتن الحكائى ؛ كإلغاء

---

(٩) هناك اختلاف فى ترجمة المصطلح ، يضعنا وجها لوجه أمام مشكلة نقل المصطلح الغربى إلى لغتنا العربية ، وما ينتج عن ذلك من اختلاف ربما يكون طبيعيا مع البدايات ، ولكن بعد مرور كل هذه السنوات (البداية كانت فى أوائل هذا القرن مع الشكليين الروس) فإن هناك تقصيرا ما ، ربما لايسمح به ما نرى من اختلاف أصحاب المنهج المؤسسين فيما بينهم فى وضع المصطلح أساسا تبعا لمفهومات خاصة كما فعل Genette مفارقا البنيويين فى استعماله لـ Analépse بدلا من Retrospéction تفاديا للدلالة النفسية التى يحملها المصطلح الأخير ، وللسبب ذاته يفضل استعمال Prolepse عن Anticipation . وكذلك يطلق على الوقفة اسم Pause ويطلق عليها Todorov L'analise . و المشهد يسميه Genette بـ Scene بينما يسميه Todorov بـ Le style direct . وكذلك المجمل أو الموجز ، يسميه Genette بـ Sommaire ، وTodorov بـ Résumé .... إلخ

(١٠) Gérard Genette, Figures III, P. 122
(١١) Ibid. P. 129

التفاصيل الجزئية أو الأحداث قليلة الأهمية فى سياق ما ..... إن مدة السرد هنا تساوى صفرا ، بينما مدة الحكاية تشغل حيزا فى التاريخ طال أم قصر . وينقسم الحذف إلى أنواع ثلاثة :

١ - حذف صريح (Explicite) وينتج إما عن إشارة (محددة أو غير محددة) إلى المدة الزمنية المحذوفة ، وفى هذه الحالة فإن هذه الإشارة هى التى تشكل الحذف بما هو مقطع نصى ، والذى لايساوى عندئذ الصفر تماما ؛ وإما عن حذف مطلق (درجة الصفر فى النص الحذفى) مع إشارة إلى الزمن المنقضى عند استئناف الحكاية ، وهذا الشكل الأخير - يقول Genette - حذفى بصرامة أكبر ، وهو ليس أكثر إيجازا بالضرورة ؛ لكن النص يومئ فى هذا الشكل إلى الإحساس بالفراغ السردى أو الثغرة إيماءة أكثر تماثلية Analogique .

٢ - حذف ضمنى (Implicite) ولا يصرَّح فى النص بوجوده ، وإنما يُستدل عليه من ثغرة فى التسلسل الزمنى ، أو انحلال للاستمرارية السردية .

٣ - حذف افتراضى (خالص الافتراضية) (Hypothétique) وهو أكثر أشكال الحذف ضمنية ، وتستحيل موقعته ، بل أحيانا يستحيل وضعه فى أى موضع كان ، وإنما ينم عنه استرجاع ما بعد فوات الأوان .

والوقفة الوصفية (Pause) : و هى ، على عكس الحذف ، السرعة الدنيا التى يمكن أن يسير بها السرد ، و هى عبارة عن توقفات وصفية تقطع المسار الزمنى للسرد ، مما يعطى إحساسا بتوقف الزمن بينما يستمر السرد فى تقديم الكثير من التفاصيل الجزئية ، حول موضوع ما .

المشهد (Scène) : وفيه يترك السارد الأحداث تتوالى بنفسها دون تدخل منه ، فتتركز الأحداث من ثم وتعرض بكل تفاصيلها ، وفيه يتطابق زمن القصة وزمن الحكاية .

المجمل (Sommaire) : هو اختصار أحداث جرت فى عدة أيام ، أو شهور ، أو سنوات فى بضع فقرات أو بضع صفحات ، دون تفاصيل أعمال أو أقوال (١٢) ، وهو ربما يشغل مكانة محدودة فى مجموع المتن السردى . ويمثل وسيلة الانتقال الأكثر شيوعا بين مشهد وآخر ، أو الخلفية التى عليها يتمايزان .

وأما عن التواتر السردى (LA fréquence) أو علاقات التكرار بين القصة والسرد ، فإن ذلك لم يدرس إلا قليلا قبل Genette (١٣) ، الذى يراه مظهرا من المظاهر الأساسية للزمنية السردية ، إذ إن الحدث ليس بقادر على الوقوع فحسب ، بل يمكنه كذلك أن يقع مرة أخرى ، أو أن يتكرر عدة مرات ، وفى المقابل فإن الملفوظ السردى هو الآخر يمكنه أن يقع مرة أخرى ، أو أن يتكرر عدة مرات ؛ وبين قدرة الحدث ، وقدرة الملفوظ السردى على التكرار يقوم نسق من العلاقات ؛ فيمكن لحدث وقع مرة واحدة أن يُروى مرة واحدة ، ويطلق على هذا النمط اسم الحكاية التفردية récit singulatif وهى تخرج بذلك عن حد التواتر ؛ إذ ليس هناك تكرار لا على مستوى الحدث ، ولا على مستوى السرد . وأما النمط الثانى ففيه يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية ، ويرده إلى النمط الأول لتوافق تكرارات الحكاية مع تكرارات السرد ؛ فهو يرى أن التفردى لا يتحدد بعدد مرات وقوعه من الجانبين ، بل بتساوى هذا العدد . والنمط الثالث : أن يُروى مرات لا متناهية ما وقع مرة واحدة ، وهذا النمط يسمى الحكاية التكرارية récit répétitif وأما النمط الرابع ففيه يُروى مرة واحدة ما وقع مرات لا نهائية ، ويسميه

---

(١٢) Gérard Genette, Ibid, P. 130

(١٣) انظر : شلوميت كنعان ، التخييل القصصى ، ص ٨٨ ، وعلوط محمد : التواتر السردى فى الخطاب الروائى ، مجلة الكرمل ، العدد ٢٨ ، ١٩٨٨ ، ص: ٩١

récit itératif ([14]) هذا ونلفت إلى أن Genette يرى أن التكرار بناء ذهنى يتحقق باستبعاد خصوصية كل حدث ، مع الاحتفاظ بالمشترك بين الأحداث المتشابهة ويكون ذلك بتجريد الأحداث من سياقاتها ، ومن دلالات مواقعها الخاصة التى تكسبها دائما معنى جديدا يخرجها من دائرة التكرار.

ولنبدأ الآن بوصف البنية الزمنية للقصة القرآنية ، لنرى كيف تتشكل العلاقة بين زمن الحكاية ، وزمن الخطاب :

ـ قصص آدم عليه السلام :

أ ـ فى سورة (ص) :

تبدأ القصة بمشهد استباقى إعلانى لما سيكون من خلق آدم من طين ، ومن ثم طلب الله إلى الملائكة أن يسجدوا له ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(٧١)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٧٢) ﴾ يلى ذلك حذف زمنى لمدة إنجاز الخلق ، هذا الحذف يؤدى دورا هاما فى إضاءة جانب من جوانب صفات الملائكة : الطاعة والتسليم دون إبطاء ، حيث يلى إيجاز لأحداث سجود الملائكة واستكبار إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٧٤) ﴾ ثم تختتم القصة بمشهد حوارى طويل بين الله وإبليس ؛ إبليس يطلب الإنظار إلى يوم البعث والله تعالى يجيبه إلى طلبه ، ويتوعده ومن تبعه أجمعين . وفى القصة يتجلى التواتر السردى فى قول إبليس : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٨٢) ﴾

---

(١٤) Gérard Genette, Figures III, P.145

مستعملا الفعل المضارع للدلالة على تجدد الإغواء واستمراره إلى يوم البعث . فالقصة ماضية مستعادة ، والإغواء متجدد مستمر ؛ تبدأ القصة بالفعل الماضى ثم لاتنتهى بل تنفتح على المستقبل إلى يوم البعث . فحاضر إنجاز السرد بعيد جدا عن واقع القصة التاريخى ، لكنهما يتزامنان فى المشهد حيث يصبح زمن السرد هو نفسه زمن القصة ، ونصبح وكأننا حضور نشاهد ذلك المشهد الذى يدور أمام أعيننا ، ونستمع إلى الحوار الذى يحمله ، وبدهى أن ناقل الحوار لابد وأن يكون قد استمع إليه من قبل ؛ فكيف لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يأتى به لولا الوحى ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ(٦٩)إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ(٧٠) ﴾ .

ومن ثم يتشكل السرد على النحو التالى : مشهد ـ حذف ـ إيجاز ـ مشهد ؛ فالمشهد على هذا يؤطر السرد القصصى ههنا ويهيمن عليه .

ب ـ فى سورة (الأعراف) :

تبدأ القصة ، مع لحظة إنجاز سردى متأخرة كثيرا جدا عن زمن وقوع الأحداث ، يخاطب الله تعالى البشرية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(١١) ﴾ ثلاث لقطات سريعة : الخلق ، والتصوير ، وسجود الملائكة وامتناع إبليس ـ يلى ذلك مشهد حوارى طويل بين الله وإبليس ، يتجلى فيه سمة من سمات التواتر ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(١٦)ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(١٧) ﴾ فثم فعل يتكرر كثيرا هو إغواء إبليس لآدم وذريته ، وإبليس لا يدخر وسعا فى سبيل ذلك ؛ ويعبر السرد عن ذلك بتكرار الإغواء فى كل مرة بشكل مختلف ، ينتهى بوقوع الإنسان فى دائرته التى تحيط به من كل

جانب : من الأمام ، ومن الخلف ، وعن اليمين ، وعن الشمال . وينتهى المشهد بإخراج إبليس مذؤما مدحورا مُتَوَعَّدًا ومن تبعه . ومن ثم يلتفت السياق إلى آدم يخاطبه ربه ﴿ وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(١٩) ﴾ التفات مباشر من خطاب إبليس وما فيه من عقاب إلى خطاب آدم ، وتحذيره أن يقرب هذه الشجرة . وبعد حذف دال على ما كان من سكنى آدم وزوجه الجنة ، يأتى مشهد فيه ما كان من إغواء الشيطان لهما ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ(٢٠)وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(٢١) ﴾ ..... وحدث الوسوسة ههنا يعد مشهديا هو الآخر ، فبالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر تمثيلا للمشهد ، تقول شلوميت كنعان : فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا [١٥] فالمفارقة الزمنية التى بدأ بها السرد يتقلص مداها البعيد مع المشهد الحوارى بين الله وإبليس ، حيث يتزامن كل من المبنى الحكائى والمتن الحكائى حتى نهاية الحكاية ، التى تنفتح على زمن آخر لاحق لزمن جريانها ﴿ يَابَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(٢٦) ﴾ .... فالمشهد مستمر بخطاب الله تعالى إلى بنى آدم ، الذى يبين فيه أن ثم لباسا معنويا ، غير اللباس المادى ، هو ذلك الذى نُزع عن آدم وزوجه ، وهو الذى يحذرنا الله تعالى أن نقع فيه مرة أخرى - إنه لباس التقوى ، أى دوام الخوف من الله .

جـ - في سورة (طه) :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى (داخلى) ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥) ﴾ بعد ذلك تبدأ الحكاية بسجود الملائكة وامتناع إبليس ، وتحذير آدم من عداوته ،

---

(١٥) شلوميت كنعان ، التخييل القصصى ، ص ٨٥

لكنه ينسى التحذير ويستمع لوسوسة الشيطان ويعصى ربه فيغوى ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(١٢٢) ﴾ هكذا فى إيجاز سريع ، لنعود إلى المشهد مع الهبوط إلى الأرض ، الذى يحمل معنى التجدد والتكرار ؛ تجدد العداوة ، وتكرار الرسالات ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى(١٢٣)وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤) ﴾ ويتحول إذ ذاك الزمن إلى المشهد الاستباقى (الخارجى) حيث ننتقل إلى الآخرة ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا(١٢٥)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى(١٢٦) ﴾ ههنا أيضا يبدأ السرد بمفارقة واسعة المدى ، ما تلبث أن يتلاشى مداها مع المشهد الحوارى الذى يسيطر على السرد ، فيلغى المسافة الفاصلة بين زمنى السرد والحكاية . ويصبح من ثم زمن الحكاية هو زمن السرد .

د - فى سورة الإسراء :

ههنا تتكون القصة كلها من مشهد استعادى ، نرى فيه تكريم الله لآدم ، حيث أمر الملائكة بالسجود له ، ونرى فيه حسد الشيطان لآدم وعصيانه لأمر الله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(٦١) ﴾ ثم حوار طويل بين الله وإبليس ؛ يتجلى فيه التواتر السردى الذى يأتى دائما مع توعد إبليس لبنى آدم ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً(٦٢) ﴾ فما يزال إبليس يستميل ذرية آدم ، ويجتهد فى إغوائهم وإضلالهم إلى يوم القيامة . وكذلك فى قوله تعالى ﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا(٦٣)وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا(٦٤) ﴾ نجد حدث الإغواء يتكرر فى صور مختلفة فى كل مرة ، ولكن تكراره ههنا يتم من وجهة نظر

مختلفة ؛ فهو فى النهاية ، وبعد كل ما أخبره به الله ، أعجز عن أن يستطيع شيئا ، فلا سلطان له على أحد ، بله أن يكونوا عباد الله .

هـ - فى سورة الحجر :

ههنا تبدأ القصة باستباق إعلانى ، يكشف عن طبيعة المادة المكونة لكل من الإنسان والجان ، هذه الطبيعة التى سيكون لها دور مهم فى توجيه الأحداث فيما بعد ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٦)وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(٢٧) ﴾ يلى ذلك مشهد حوارى بين الله تعالى والملائكة ، نرى فيه أثر تلك الطبيعة ، وكيف أن السبب الرئيسى الذى تعلل به إبليس لرفضه السجود لآدم ، هو أن آدم مخلوق طينى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٨)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٢٩)فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٣٠)إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(٣١)قَالَ يا إبليس مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(٣٢)قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٣٣) ﴾ ومن ثم يلى مشهد حوارى طويل بين الله وإبليس ، نجد فيه التواتر السردى الذى يتجلى دائما فى هذا الحوار ؛ يقول تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(٣٥) ﴾ فاللعنة متجددة على إبليس إلى يوم الدين ، وفى المقابل يرد إبليس : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩) ﴾ فتزيينه المعاصى ، وإغواؤه لبنى آدم مستمر متجدد أيضا إلى يوم البعث . فلحظة إنجاز السرد تفصلها مسافة كبيرة عن زمن وقوع القصة ، لكن المشهد الحوارى الذى يسيطر على المبنى الحكائى ، يمنحنا إحساس المشاركة برؤية الأحداث كما وقعت ، كلمة كلمة مستغرقا الزمن نفسه الذى يحتاجه الحوار .

و - فى سورة البقرة :

تبدأ القصة بمشهد ، يُذكر فيه صاحب الوحى جل وعز نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بقصة استخلاف آدم ، عليه السلام ، فى الأرض التى جعلها الله للناس جميعا ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ(٣٠) ﴾ وللمرة الأولى ، فى قصص آدم عليه السلام ، نسمع صوت الملائكة فى حوار مع الله ؛ دائما كان إبليس هو صاحب الحوار ، لكن لا صوت له هنا ، فقط صوت الملائكة ، فى تساؤل حيىٍّ ، لا فى مراجعة وقحة كما كان من إبليس ؛ استفسار عن الحكمة من أن يجعل الله فى الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ويقرنون تساؤلهم بأنهم يسبحون بحمده ويقدسون له ، بما يوحى بخوفهم من أن يكون قد وقع منهم تقصير أوجب جعل هذا الخليفة .

ويلى ذلك إيجاز ، يومئ إلى استعداد آدم للعلم ، وربما كان ذلك هو سر استخلافه [١٦] ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٣١) ثم يعود المشهد الذى يسيطر على القصص ، يتخلله إيجاز من حين لآخر ، لأحداث ينبغى معرفتها إجمالا ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ (٣٦) ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧) ﴾ نرى من خلاله كرامة آدم على الله تعالى ، وما كان من خطيئة ، وتوبة ، وهبوط إلى الأرض مشمول برعاية الخالق سبحانه .

ـ قصص نوح عليه السلام :

أ ـ فى سورة القمر :

---

(١٦) انظر : سعيد حوى ، الأساس فى التفسير ، دار السلام ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٩ ، ١/ ١٢١

تعرض القصة فى أربع صور متتالية شديدة الإيجاز ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ(١٠) ﴾ ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(١١)وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢) ﴾ ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ(١٣)تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ(١٤) ﴾ فى هذه الصور نجد خلاصة الأحداث ، لا نجد تاريخ الدعوة الطويل ، وما صاحبه من أحداث ، بل نجد تكذيب الدعوة ، والاستنصار ، ومن ثم الإهلاك والنجاة ؛ إن الدعوة لفى بداياتها ، وكفار مكة يسارعون بالتكذيب ، وقبلهم كذب قوم نوح .

ب - فى سورة الأعراف :

تبدأ القصة بمشهد استعادى ، بالنسبة لحاضر السرد ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٥٩) ﴾ ..... وما بعدها ، فيه ما كان من إرسال نوح ودعوته وتكذيب قومه ، وتنتهى بإيجاز يجمل أحداثا كثيرة مفصلة فى غير هذا الموضع ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(٦٤) ﴾ وليس السياق فى حاجة إلى تفصيل ، فهكذا كان موقف قوم نوح من دعوة نبيهم لهم ، وهكذا فعل الله بهم ، والله لا يهلك قوما إلا بعد أن يرسل إليهم من يدعوهم ، ويبين لهم طريق الهدى .

جـ - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى ، يعلن عن قصدية القصة ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥) ﴾ ثم يأتى تفصيل ذلك التكذيب فى مشهد حوارى بين نوح وقومه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ(١٠٦)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٠٧)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٠٨)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

أجْرِيَ إلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠٩)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١١٠)قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ(١١١) ﴾ ..... وتنتهى بإيجاز ، يجمل عاقبة هؤلاء القوم المكذبين ، مقرونا بجزاء الفريق المؤمن ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(١١٩)ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ(١٢٠) ﴾ وما زال المشهد الحوارى هو النمط المهيمن فى القصص .

د - فى سورة يونس :

فى مشهد تعرض القصة ما كان من تحدى نوح لقومه ، ثم تأتى الخاتمة فى إيجاز ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ(٧٣) ﴾ .

هـ - فى سورة هود :

تبدأ القصة بمشهد استعادى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ(٢٥) ﴾ ويستمر حوار طويل بين نوح وقومه ، يقطعه مشهد خارجى عن القصة ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ(٣٥) ﴾ لنعود مع مشهد استباقى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٣٦)وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(٣٧) ﴾ ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ(٣٨) ﴾ فى تواتر و تكرار ، فالسخرية تتكرر لأن المرور يتكرر . ثم يعود المشهد الحوارى المهيمن دائما ﴿ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ(٣٨)فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ(٣٩) ﴾ ثم يلى ذلك حذف غير خالص ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ أى أن الأمر ظل على هذا النحو من سخرية قومه ، وصبره على أمر الله بصناعة الفلك ، حتى جاء أمر الله وفار التنور . ومن ثم يعود المشهد الحوارى ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ﴾ ويستمر المشهد يتخلله إيجاز يُجمل أحداث ما بعد الطوفان ﴿ وَقِيلَ يا أرض ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٤) ﴾ وتختتم القصة بحوار بين الله تعالى ونوح عليه السلام حتى ﴿ قِيلَ يا نوح اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٤٨) ﴾ .

و - فى سورة نوح :

تتكون القصة من مشهد طويل ، يبدأ باستباق إعلانى يكشف عن وظيفة نوح فى السرد ، وهى الإنذار ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١)قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ(٢) ﴾ .... يتخلله إيجاز ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا(٢٥) ﴾ وتنتهى بالمشهد ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا(٢٨) ﴾ .

ز - فى سورة المؤمنون :

تتكون القصة كلها من مشهد حوارى بين نوح وقومه من جهة ، وبين نوح وربه من جهة أخرى .

ح - فى سورة العنكبوت :

ههنا للمرة الأولى تتحدد مدة المحذوف ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(١٤) ﴾ وههنا نرى كيف أن الحذف حذف بلاغى

دال ؛ فإن قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ يدل بوضوح على ما كان منهم فى هذه المدة الطويلة من ظلم أوجب أخذهم بالطوفان ؛ إنه ليس حذفا بقدر ما هو إيجاز .

- قصص هود عليه السلام :

أ - فى سورة القمر :

تبدأ القصة من النهاية و بعد تكذيب عاد ، باستباق يعلن عن وجهة السرد ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(١٨)﴾ ومن ثم توجز كيف كان عذاب الله الواقع بهم ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠) ﴾ فالمسافة الفاصلة بين اللحظة الحاضرة للسرد ووقت وقوع الأحداث مسافة كبيرة ، فالسرد كله استرجاع لقصة نموذج من المكذبين والعقاب الذى حاق بهم فى الدنيا .

ب - فى سورة الأعراف :

تأتى القصة فى مشهد حوارى بين هود الرسول وقومه ، منذ إرساله وتكذيب قومه له (٦٥ - ٧١) إلى أن تختتم بإيجاز أحداث النجاة والإهلاك ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ(٧٢)﴾ .

جـ - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق (إعلانى) ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ(١٢٣) ﴾ ثم تعود إلى تفصيل هذا التكذيب فى مشهد حوارى بين هود و قومه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٢٤)إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ(١٢٥)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٢٦) ﴾ ...... إلى أن تختتم بإيجاز أحداث النجاة والإهلاك ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٣٩) ﴾ .

د - فى سورة هود :

تأتى القصة فى مشهد حوارى بين هود وقومه منذ أن بدأ دعوته لهم ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ مبصرا إياهم بطرق الفوز والنجاة ، وهم يكذبون ، ويكذبون (٥٠ ـ ٥٧) إلى أن تأتى الخاتمة موجزة ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ(٥٨) ﴾ ثم يأتى تذييل للقصة فى استرجاع يتضمن استباق العليم ﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(٥٩)وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ(٦٠) ﴾ .

هـ - فى سورة الأحقاف :

تبدأ القصة باسترجاع ، يذكر بما كان ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٢١) ﴾ يلى ذلك مشهد حوارى بين هود وقومه : هو يدعو هم إلى الله وهم يكذبون ، ويستعجلون ما يعدهم به من العذاب لجهلهم ؛ فتأتى النهاية فى إيجاز مختلط بحوار ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٤)تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ(٢٥) ﴾ لكن من صاحب الخطاب هنا ؟ قد يكون هودا هو الذى يرد عليهم ، وقد يكون صوتا آخر ، وهو الأقرب ، لقوله تعالى فى ختام القصة ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

ـ قصص صالح عليه السلام :

أ ـ فى سورة القمر :

تبدأ القصة منذ التكذيب باستباق ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ(٢٣) ﴾ ثم يلى مشهد (حوارى) نرى فيه كيف كان تكذيبهم ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ(٢٤)أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ(٢٥) ﴾ ونسمع ذلك الصوت البعيد ـ العالى ـ العليم يرد عليهم ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ(٢٦)إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ(٢٧)وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ(٢٨) ﴾ ثم قطع (حذف) تليه النهاية فى إيجاز ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ(٢٩)فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٠)إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣١) ﴾ .

ب ـ فى سورة الأعراف :

تبدأ القصة مع دعوة صالح لقومه بمشهد حوارى ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٧٣) ﴾ ونحن هنا مع حذف كذلك ، فصالح أرسل إلى قومه ، وكان بينهما ما كان مما يفصل فى أماكن أخرى ، ثم كانت الناقة آية لهم ، لكن الناقة تأتى هنا منذ البداية ، ثم فى استرجاع يذكرهم بفضل الله عليهم ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٧٤) ﴾ ويستمر الحوار لكن هذه المرة بين المكذبين من قومه والمؤمنين ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ

أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ(٧٥)قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ(٧٦) ﴾ ثم حذف يُعلم من سياقات أخرى فإيجاز النهاية ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يا صالح ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧٧)فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨) ﴾ ثم الآية الأخيرة ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ(٧٩) ﴾ هل هى استرجاع ؟ إذ بعد هلاكهم يعود السياق إلى ما كان من صالح تجاه قومه فى نهاية دعوته لهم ، وبعد إياسه منهم . أم هى خاتمة طبيعية ، تأتى فى ترتيبها التسلسلى حين تولى صالح عن قومه بعد هلاكهم متحسرا عليهم ؟ الأقرب أنها الأولى ، فهو خاطب قومه نافضا يديه منهم ؛ فقد بذل قصارى ما يستطيع من جهد فى سبيل هدايتهم ، ولكنهم قوم مفسدون ، لا يحبون الناصحين ؛ ثم تولى عنهم . والجملة الثانية معطوفة على الأولى بالواو التى تسمح بالسبق والتأخر على السواء .

جـ - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق يوحى بطبيعة القصة ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ(١٤١) ﴾ ثم يلى مشهد حوارى بين صالح وقومه : دعوة وتكذيب (١٤٢ - ١٥٦) إلى أن تأتى الخاتمة فى إيجاز بعد قطع معلوم من سياق آخر ، إذ حذرهم صالح أن يمسوا الناقة بسوء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ(١٥٧)فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٥٨) ﴾ .

د - فى سورة النمل :

تبدأ القصة بإيجاز يجمل الحكاية ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ(٤٥) ﴾ وتستمر فى مشهد حوارى بين صالح وقومه ، إلى أن يتوقف الزمن مع وصف تسعة الرهط فى المدينة ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

يُصْلِحُونَ(٤٨) ﴾ ومن ثم يكتمل الحوار بين قومه بعضهم البعض فى المكر له ، لتأتى الخاتمة موجزة مختلطة بوصف ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ(٥٠)فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ(٥١)فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٥٢)وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٣) ﴾ .

هـ - فى سورة هود :

يهيمن على القصة مشهد حوارى بين صالح وقومه (٦١ - ٦٥) وتختتم بإيجاز ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ(٦٦)وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٦٧)كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِثَمُودَ(٦٨) ﴾ .

ـ قصص لوط عليه السلام :

أ - فى سورة القمر :

تبدأ القصة بإيجاز ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ(٣٣) ﴾ ثم قطع فالخاتمة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤)نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥) ﴾ وبعد ذلك يعود السياق فى استرجاع خارجى [بالنسبة لبداية القصة (التكذيب) ونهايتها (الإهلاك والنجاة) ههنا] إلى ما قبل التكذيب ﴿ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ(٣٦)وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٧) ﴾ ثم نعود فى استرجاع داخلى (داخل القصة المذكورة ههنا) ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨) ﴾ .

ب - فى سورة الأعراف :

تبدأ القصة مع دعوة لوط فى مشهد حوارى بينه وبين قومه ، هو مهموم بدعوتهم : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ(٨٠)إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(٨١) ﴾ وهم يكذبون ، ويأتى تكذيبهم فى إيجاز دال على فساد طبيعتهم ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٨٢) ﴾ ونستمر مع الإيجاز فى عرض النهاية ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ(٨٣)وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ(٨٤) ﴾ .

جـ - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق إعلانى ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ(١٦٠) ﴾ ثم يأخذ السياق مساره الطبيعى مع دعوة لوط لهم ، وتكذيبهم له ، فى مشهد حوارى ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ(١٦١)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٦٢)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٦٣)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٤)أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ(١٦٥)وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ(١٦٦)قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ(١٦٧)قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ(١٦٨) ﴾ ومن ثم تأتى الخاتمة فى إيجاز حين دعا ربه ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ(١٦٩)فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ(١٧٠)إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ(١٧١)ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ(١٧٢)وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ(١٧٣) ﴾ والآية الأخيرة تمثل استرجاعا داخليا ؛ فالتدمير نتيجة يحدثها المطر .

د - فى سورة هود :

تبدأ القصة مع مجيء الرسل إلى لوط ، فى إيجاز يجمل الموقف النفسى لرسول الله ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ(٧٧) ﴾ ثم تنتقل إلى مشهد حوارى بين لوط وقومه ، هم يريدون ضيفه وهو يحاول منعهم (٧٨ - ٨٠) يكتمل بحوار آخر بين لوط والملائكة ، حيث يكشفون له عن حقيقتهم ويطلبون منه الرحيل (٨١) ومن ثم تأتى الخاتمة فى إيجاز سريع ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ(٨٢)مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ(٨٣) ﴾ .

هـ - فى سورة الحجر :

تبدأ الإشارة إلى قصة لوط باسترجاع خارجى لجانب من قصة إبراهيم عليه السلام حين ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ(٥٧)قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ(٥٨)إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ(٥٩)إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ(٦٠) ﴾ وبعد ذلك يأخذ السياق فى عرض قصة لوط عليه السلام ، فتبدا بمشهد حوارى بين لوط والملائكة يكشفون فيه حقيقة أنفسهم ويطلبون منه الرحيل (٦١ - ٦٥) ثم يُجمل الأمر فى استباق (العليم) ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ(٦٦) ﴾ يلى ذلك ، على عكس القصة السابقة ، مشهد حوارى بين لوط وقومه يريدون ضيفه ويحاول منعهم (٦٧ - ٧١) وهنا يطرح سؤال نفسه : هل هذا المشهد الأخير يأتى متأخرا عن سابقه (استرجاعا) ؟ أم أن هذا هو الترتيب الطبيعى للقصة ؟ مما يجعلنا نتساءل كذلك : إذا كان لوط يعرف بالفعل حقيقة الملائكة فلماذا يكبد نفسه مشقة الدفاع عنهم ؟ ثم فى إيجاز تأتى الخاتمة ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ(٧٣)فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(٧٤) ﴾ .

و - فى سورة العنكبوت :

تبدأ القصة مع دعوة لوط لقومه فى مشهد حوارى ينكر عليهم ما يفعلون ، وهم يستهزئون به ويطلبون العذاب ، فيستنصر بربه (٢٨ ـ ٣٠) ثم نعود فى استرجاع خارجى إلى قصة إبراهيم عليه السلام فى حوار ه مع الملائكة ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ(٣١)قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ(٣٢) ﴾ ثم يأتى مجىء الملائكة وضيق لوط بهم فى حوار موجز ﴿ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ(٣٣)إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(٣٤) ﴾ ومن ثم لا تأتى الخاتمة المعتادة التى تصف حدث الإهلاك والنجاة ، وإنما تأتى إشارة إلى ذلك وفى الوقت نفسه إلى العبرة من القصة ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(٣٥) ﴾ .

ـ قصص شعيب عليه السلام :

أ ـ فى سورة الأعراف :

تبدأ القصة ، كقصص سورة الأعراف ، بمشهد دعوة شعيب قومه إلى عبادة الله وحده ، وهم يكذبون ويستكبرون ، وشعيب يستنصر بربه (٨٥ ـ ٩٠) فينصره ، بإهلاكهم فى إيجاز ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩١) ﴾ ثم فاصل يجمل العبرة من القصة : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ(٩٢) ﴾ ثم الآية الأخيرة ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ(٩٣) ﴾ هل هى استرجاع يعود إلى ما قبل نهاية القصة ، حيث أيس من تحولهم عن

كفرهم ، فقال ما قال ؟ أم أنها تقع فى ترتيبها الزمنى الطبيعى ؟ وهو الأقرب ههنا ، فهو يتولى عنهم بعد هلاكهم مسترجعا ما كان بينه وبينهم ، إذ أبلغهم رسالات ربه ، ونصح لهم ، لكنهم كفروا ، وكذبوا ، فلم يستحقوا أن يأسى عليهم بعد أن أهلكوا جزاء كفرهم .

ب - فى سورة الشعراء :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ(١٧٦) ﴾ ثم يأتى تفصيل هذا التكذيب فى مشهد حوارى بين شعيب وبينهم ، هو يدعوهم ، وهم يكذبون ويطلبون العذاب (١٧٧ - ١٨٨) ومن ثم تاتى الخاتمة سريعة فى إيجاز شديد ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٨٩)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٩٠) ﴾ .

جـ - فى سورة هود :

تبدأ القصة مع دعوة شعيب لقومه بمشهد حوارى ، يستغرق القصة بطولها .... (٨٤ - ٩٣) ومن ثم تأتى الخاتمة موجزة فى قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩٤)كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ(٩٥) ﴾ .

ـ قصص موسى عليه السلام :

أ - فى سورة الأعراف :

تبدأ الحكاية باستباق تمهيدى ، داخلى ، يجمل القصة ويحدد اتجاه السرد ، وأنه سيكون مكرسا لعرض ما كان من ظلم فرعون وملإه حيث كفروا بآيات الله ، وما كان من عقاب الله لهم جزاء

هذا الكفر ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(١٠٣) ﴾ ومن ثم تبدأ الحكاية مع ذهاب موسى إلى فرعون رسولا من رب العالمين ، ليبدأ المشهد الحوارى بينهما ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠٤)حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٠٥)قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٠٦) ﴾ يقطع الحوار سرد موجز لما جاءهم به موسى من معجزات ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ(١٠٧)وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ(١٠٨) ﴾ ليعود المشهد الحوارى من جديد بين فرعون وملإه الذين أشاروا عليه بمحاربة موسى بالسحرة المهرة (١٠٩ ـ ١١٢) وبعد حذف يكتمل الحوار بصوت السحرة ، مع فرعون (١١٣ ـ ١١٤) يسألونه عن أجرهم إذا غلبوا ، ثم مع موسى (١١٥ ـ ١١٦) ليحددوا البادئ بعرض سحره . ثم تأتى أحداث اللقاء بين موسى والسحرة موجزة ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ(١١٦)وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(١١٧)فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١١٨)فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ(١١٩)وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ(١٢٠) ﴾ ثم يعود المشهد الحوارى بين فرعون والسحرة (١٢٣ ـ ١٢٦) يكشف عن إيمان عميق تنطوى عليه قلوبهم ؛ لرؤيتهم شيئا غير السحر فيما أتاهم به موسى ؛ فسحرهم باطل ، وهم يعلمون ذلك ، وموسى جاءهم بحق لم يألفوه من قبل فى صناعتهم هذه ، فهى إذن معجزة ، وليست ضربا من ضروب السحر التى يعرفونها . ومن ثم يتجدد الحوار بين فرعون وملإه ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ(١٢٧) ﴾ وبين موسى وقومه ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(١٢٨)قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ(١٢٩)

﴾ وبعد هذا تكتمل الأحداث بإيجاز نعرف من خلاله ما وقع بآل فرعون من عقاب ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(١٣٠)فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ(١٣١)وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ(١٣٢)فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ(١٣٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٣٤)فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ(١٣٥)فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ(١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ(١٣٧) ﴾ يتخلل هذا الموجز ، الذى يجمل أحداث نهاية فرعون وملإه ، مشهد قصير يعود إلى الظهور مرة بعد مرة ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ(١٣٢) ﴾ ﴿ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٣٤) ﴾ وفيه كذلك نجد التواتر الذى يحمله تكرار إرسال العقاب على آل فرعون فى صور مختلفات : ﴿ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ﴾ لعلهم يعودون عما هم فيه من ضلال ، وتسير الأحداث بعد ذلك يغلب عليها المشهد الحوارى بين موسى وقومه (١٣٨ - ١٤١) وبينه وبين ربه (١٤٣- ١٤٧) إلى أن تأتى نهاية الحكاية فى إيجاز يتخلله بعض المشاهد الحوارية السريعة ، لدى عودة موسى ولقائه بأخيه هارون ﴿ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(١٥٠)قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ(١٥١) ﴾ أو عند دعاء موسى حيث ذهب مع السبعين رجلا من قومه لميقات ربه ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ(١٥٥)وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ(١٥٦) ﴾ .

ب - في سورة طه :

تبدأ الأحداث بمشهد حوارى طويل بين موسى وربه ؛ يختاره الله رسولا إلى فرعون ، بعد أن يريه من آياته الكبرى (٩ - ٣٦) ويكتمل الحوار فى شكل استرجاع خارجي يذكره فيه ربه بما منّ عليه به من قبل ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى(٣٧)إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى(٣٨)أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي(٣٩) ﴾ ..... (٤١) ثم يستعيد الحوار زمنه الأصلى ، ليبدأ التكليف بالرسالة ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي(٤٢)اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(٤٣)فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى(٤٤) ﴾ ..... (٤٨) ويستمر الحوار مع تغير الشخصيات ، بعد قطع زمنى غير محدد ، يتحول معه الحوار من التكليف إلى الدعوة ﴿ إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى(٤٧)إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى(٤٨)قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(٤٩) ﴾ ..... (٧٦) ويتخلل هذا الحوار الطويل ، الذى يهيمن على الحكى ، سرد موجز ، يجمل أحداثا كثيرة ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى(٥٦) ﴾ ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى(٦٠) ﴾ وكذلك قطع زمنى يتخطى أحداثا لا يحتاج السرد إليها : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى(٤٧)إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى(٤٨)قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(٤٩) ﴾ ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى(٦٦) ﴾ ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(٦٩)فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى(٧٠) ﴾ ويستمر الحوار حتى نهاية الحكى ، مع تغير الشخصيات المتحاورة : موسى وربه - موسى وقومه - هارون وقومه - موسى وهارون - موسى والسامرى . ومن المفارقات الزمنية كذلك نجد الاسترجاع الداخلى الذى يذكر فيه الله بنى إسرائيل بأعظم نعمه عليهم ﴿ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى(٨٠)كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى(٨١) ﴾ والاستباق الداخلى الذى يُعلم الله فيه موسى بما فعل السامرى من إضلال قومه ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ(٨٥) ﴾

جـ - فى سورة الشعراء :

نبدأ الحكى مع تكليف موسى بمشهد حوارى بينه وبين ربه ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٠)قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ(١١)قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ(١٢) ﴾ ..... (١٧) ويستمر المشهد الحوارى مع تغير الشخصيات ، حين يذهب موسى وهارون إلى فرعون يبلغاه رسالة ربه ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦)أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٧)قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ(١٨) ﴾ ..... (٣٣) ونلاحظ القطع الزمنى بين الإرسال والدعوة ، يُحذف فيه مضمون الرسالة التى جاء بها موسى وهارون ؛ لأننا نعلمها من قبل . ويمتد المشهد الحوارى بين فرعون وملإه ، ثم بينه وبين السحرة يمنّيهم الأمانىّ إذا هم غلبوا موسى ؛ فيُغلبون ؛ ويستمر الحوار بينهم وبين فرعون يتوعدهم بالعذاب لإيمانهم برب موسى وهارون ، وهم يطمعون فى مغفرة الله ربهم أن كانوا أول المؤمنين (٤١ - ٥١) ثم يأتى الإعلان الذى خرج به فرعون على الناس ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤)وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ(٥٥)وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ(٥٦) ﴾ الذى يحمل طابعا مشهديا هو الآخر ، ليكمل هيمنة المشهد

على الحكى - ويأتى فى الوقت ذاته إعلانا لنهاية فرعون ، فقد بلغ به الكبْر كل مبلغ ، فتأتى النهاية مجملة موجزة ، على هيئة استباق داخلى يؤكد هوانه وضعفه وقلة حيلته ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٥٧)وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(٥٨)كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(٥٩) ﴾ ويكتمل الحكى بعد ذلك فى إيجاز يتخلله مشهدان أحدهما حوار قصير ﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(٦١)قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(٦٢) ﴾ والآخر وحيد الصوت ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴾ .

د - فى سورة القصص :

تبدأ الحكاية ههنا باستباق تمهيدى ، نتعرف فيه ما سيكون من شأن الحكى بعد ذلك ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٣)إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(٤)وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٥)وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ(٦) ﴾ فهى قصة موسى ، وفرعون الذى علا واستكبر ، واستضعف أمة يريد الله أن يمن عليها ، ويمكّن لها فى الأرض .

ومن ثم يبدأ الحكى مع الطفولة الباكرة لموسى ، ومع حيرة أمه ، فى مشهد حوارى ، يتضمن استباقا داخليا يطمئنها فيه الوحى على ابنها وعلى مستقبله ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧) ﴾ يليه إيجاز مدة الطفولة وما كان فيها ، بعد إلقاء موسى فى اليم بأمر الله ، من التقاط آل فرعون له ، وفيه استباق داخلى لما سيكون من أمره معهم ﴿ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ(٨) ﴾ ومن ثم طلب امرأة فرعون الإبقاء

عليه ، واتباع أخته له ، وتحريم المراضع عليه ، وإعادته من ثم إلى أمه ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ(١٣) ﴾ .

وتمضى الطفولة ، وبعد قطع مشار إليه ، ننتقل إلى شباب موسى حيث يوجز الحكى حدث قتله للقبطى ، وخوفه من انكشاف أمره ، وخروجه إلى مدين ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٤)وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ ..... (٢٢) يتخلل هذا الإيجاز مشاهد قصيرة ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ(١٥)قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ(١٧) ﴾ ﴿ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ(١٨) ﴾ ﴿ قَالَ يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ(١٩) ﴾ ﴿ قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ(٢٠) ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٢١) ﴾ ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ(٢٢) ﴾ .

ويستمر تداخل المشهد الحوارى والإيجاز ، واقتسامهما الحكى ، إلى أن يبدأ موسى فى العودة إلى مصر (٢٣ ـ ٢٩) ويبدأ تكليف الله له بالدعوة ؛ فيعود المشهد الحوارى ليهيمن على الحكى مرة ثانية ، شأن كل الأحداث المهمة ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٣٠)وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ ..... (٣٥)

ويستمر المشهد كذلك فى دعوة موسى آل فرعون ، بعد حذف يدل عليه السياق ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ(٣٦

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٣٧)وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٣٨) ﴾ وتأتى الخاتمة فى إيجاز يشير إلى سهولة الأخذ ، وضعف المأخوذ ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(٤٠) ﴾ .

ـ فى قصة موسى والعبد الصالح :

تتكون الحكاية من خمسة مقاطع سردية متتالية زمنيا ، تبدأ بمشهد استباقى داخلى ، لا يلتزم فيه السرد بتوجه معين للأحداث ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا(٦٠) ﴾ يترك المتلقى فى حالة تساؤل عن مصير موسى كيف سيكون ، لكن وبعد حذف لأحداث ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا(٦١) ﴾ وكان موسى ينتظر هذه العلامة ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ (٦٤) فهناك ما خرجا من أجله ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا(٦٥) ﴾ ومن ثم يدور حوار بين موسى والعبد الصالح يستمر حتى النهاية يتخلله إيجاز فى مواقع مختلفة ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ (٧١) ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ ﴾ (٧٤) ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾ (٧٧) وأربع مرات نجد استرجاعا داخليا حين يذكر العبد الصالح موسى بما قال له من قبل ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٦٧)وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(٦٨) ﴾ فنجد ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٧٢) ﴾ ونجد ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٧٥) ﴾ و ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(٧٨) ﴾ وفى الخاتمة ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(٨٢) ﴾ .

ـ فى قصة يوسف عليه السلام :

تتكون القصة من ثمانية مقاطع سردية تتوزع على أربعة عشر موقعا زمنيا : المقطع الأول رؤيا يوسف (٤ ـ ٦) يقع فى موقع زمنى واحد يبدأ بمشهد استباقى تمهيدى بين يوسف وأبيه ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(٤)قَالَ يَابُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٥)وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ .... (٦) ﴾ نرى فيه تلك الرؤيا التى سيكون لها شأن فيما بعد ، ونتعرف طبيعة العلاقة بين يوسف وإخوته ، وبين يوسف وربه . ومن ثم تبدأ القصة مع المقطع السردى الثانى حسد الإخوة (٧ ـ ١٨) الذى ينطوى على أربعة مواقع زمنية متتالية تاريخيا ، يهيمن فيها المشهد الحوارى يتخلله الحذف والإيجاز ، فنحن نبدأ بحوار بين إخوة يوسف أنفسهم ، وبينهم وبين أبيهم ، نرى فيه تفصيل العلاقة بينهم وبين يوسف : (٨ ـ ١٨) وفى هذا المشهد نجد حذفا يفصل حوار الإخوة مع أنفسهم " الموقع الزمنى الأول " وحوارهم مع أبيهم " الموقع الزمنى الثانى " ونجد إيجازا يجمل الأحداث ما بين ذهابهم بيوسف وعودتهم بدونه إلى أبيهم " الموقعين الزمنيين الثالث والرابع " ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٥)وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ(١٦) ﴾ بعد ذلك ينتقل السياق إلى يوسف فيوجز جانبا من حياته (١٩ ـ ٢١) ﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ(١٩)وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ(٢٠) ﴾ وينتقل يوسف بذلك من حياته الطبيعية الأولى إلى حياة أخرى جديدة ، حياة الرق ، ولكن ثم فى التمهيد للقصة رأينا علاقته بربه ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى

ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ (٦) فيتجلى أثر هذه العلاقة ههنا ، فى استرجاع شديد الأهمية ليوسف ، مع انتقاله من الحرية إلى العبودية ؛ ويوجز السياق ذلك ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(٢١) ﴾ ومن ثم يُحذف جانب من حياته (مرحلة الصبا) فيأتى المقطع السردى الرابع (٢٢ ـ ٣٤) محنة المراودة ، ليتشكل فى أنماط زمنية مختلفة ؛ تبدأ باستباق (تمهيدى) ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ يلى ذلك مشهد حوارى بينه وبين امرأة العزيز ﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢٣) ﴾ ثم يرد الحديث عن الهم موجزا سريعا فى صور متلاحقة ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ومن ثم يعود السياق إلى إيقاعه الطبيعى ليمنع أن يلحق بيوسف أى ظن يسىء إليه (فى استرجاع ثان) : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤) ﴾ ثم يعود الإيجاز السريع ، والصور المتلاحقة مرة أخرى ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ومن ثم تهدأ الأحداث ، ويلى الإيجاز مشهد حوارى ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٥)قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ ثم يأتى حديث نسوة المدينة ويستمر المشهدالحوارى ، يتخلله إيجاز دعوة امرأة العزيز للنسوة ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ(٣١) ﴾ يعود بعده المشهد بحوار بين امرأة العزيز والنسوة ، ثم بين يوسف وربه ، وبعد ذلك بينه وبين صاحبى السجن ، فى المقطع السردى الخامس (٣٥ ـ ٤٩) حيث ينتهى بإيجاز وقطع بعده تأتى رؤيا الملك ... ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ(٤٢)وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ

خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ(٤٣) ﴾ ويعود المشهد بحديث الملأ ، ثم الذى نجا منهما ، ثم تأويل يوسف للرؤيا ، فشهادة نسوة المدينة وامرأة العزيز ببراءة يوسف " المقطع السردى السادس " وبعد ذلك حوار يوسف مع الملك ، يلى ذلك إيجاز لمدة من حياة يوسف ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦) ﴾ ثم استباق خارجى ﴿ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٧) ويأتى اللقاء الأول بين يوسف و إخوته " المقطع السردى السابع " ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ(٥٨) ﴾ ويدور حوار بينه وبينهم يطلب أخاه ، ثم بينه وبين فتيانه ، ثم بين إخوته وبين أبيهم يطلبون منه أن يرسل معهم أخاهم ، وهو يسترجع ذكرى يوسف حين استأمنهم عليه من قبل ، ثم يرسله معهم ويوصيهم ، ويستمر المشهد الحوارى ، وتتغير الشخصيات ، ويحذف حدث الرحلة إلى مصر ، ويسترجع الحوار جزءا (مكذوبا) من ماضى الشخصيات ﴿ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ(٧٧) ﴾ ويستمر الحوار ، بين يوسف وإخوته ، وبينهم وبين أنفسهم ثم يتداخل تداخلا لطيفا بحوارهم مع أبيهم :

.... ﴿ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ(٨١)وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(٨٢)قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٨٣) ﴾ وثم حذف لحدث الانتقال إلى الأب ، وأيضا هنا استباق حدسى ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ ،

﴿ يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ ومن ثم كان تعرفهم على يوسف سريعا حين سألهم ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ(٨٩)قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ ﴾ ويستمر المشهد الحوارى بين يوسف وإخوته ، بعد قطع حدث قدومهم إليه ، ثم بين إخوته وأبيهم ، ويحذف كذلك حدث قدوم أبويه " المقطع السردى الثامن " ويستمر الحوار بين يوسف

وبينهم جميعا ثم بينه وبين أبيه ، فى استرجاع داخلى لحدث الرؤيا فى طفولة يوسف ، ولأحداث أخرى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(١٠٠) ﴾ وتختتم القصة بمشهد يناجى فيه يوسف ربه ، يثنى عليه ، ويدعوه ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠١)

ـ قصة قارون :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى موجز ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ ومن ثم يأتى تفصيل ذلك البغى فى إيجاز يعقبه مشهد حوارى بين قارون والعارفين من قومه ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(٧٦)وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧)قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ يلى ذلك استرجاع خارجى موجز ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ(٧٨) ﴾ ثم قطع فوصف يقدم قارون نموذجا لزينة الحياة الدنيا ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ويستمر المشهد الحوارى بين الذين يريدون الحياة الدنيا والذين أوتوا العلم ، وتأتى نهاية قارون فى إيجاز ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ(٨١) ﴾ وهنا يعود الغافلون من غفلتهم فى استرجاع للعبرة البينة من قصة قارون ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ

بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ(٨٢) ﴾ .

ـ قصص سليمان عليه السلام :

أ ـ في سورة ص :

تبدأ القصة باستباق داخلي ، تمهيدي ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ(٣٠) ﴾ ثم تبدأ الأحداث في الكشف عن أسباب هذا المديح ، وتبيين تلك الأوابية التي يتصف بها سليمان تبدأ بإيجاز عرض الصافنات الجياد ، ثم مشهد حواري بينه وبين نفسه ، وبينه وبين عارضي الجياد ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ(٣١)فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ(٣٢)رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ(٣٣)وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ(٣٤)قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(٣٥) ﴾ أما قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ فهو كلام معترض ، للدلالة على يقظة قلبه ، وشدة تعلقه بذكر ربه ، فهو في غمرة انشغاله باستعراض الصافنات الجياد يذكر أنه قد أخطأ إذ أغفله الاستعراض عن ذكر ربه ، وإن كانت هذه الغفلة لا تستمر حتى تتواري بالحجاب ، فيعود إلى ربه يستغفره ويسأله الملك ، فيستجيب له ربه ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ(٣٦)وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ(٣٧)وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(٣٨)هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٩)وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ(٤٠) ﴾ وعلى هذا فالأقرب أن الفتنة التي فتنها سليمان ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ(٣٤) ﴾ كانت هي انشغاله بالصافنات الجياد عن ذكر ربه ، إذ يعيدنا هذا الاسترجاع إلى الاستباق التمهيدي عن أوابية

سليمان فى بداية القصة ، فهو استرجاع على استباق لتأكيد أوابيته ، أى كثرة إنابته ورجوعه إلى ربه .

ب - فى سورة النمل :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى مجمل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ (١٥) ثم بعد قطع لمدة من الزمن ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ يأتى مشهد يوجز فيه سليمان عظيم فضل الله عليه ، و يوضح كذلك ماهية العلم الذى آتاه الله إياه ﴿ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(١٦) ﴾ ثم إيجاز يعرض ملكه ، ويكتمل هذا العرض بمشهد ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(١٧)حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٨)فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ(١٩) ﴾ ثم قطع فإيجاز فمشهد ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(٢٠)لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٢١) ﴾ ثم قطع مشار إليه ، فمشهد حوارى بين سليمان والهدهد ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ(٢٢) ﴾ ..... ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢٢ - ٢٩) يلى ذلك قطع فمشهد حوارى بين ملكة سبا والملأ من قومها ﴿ قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ(٢٩) ﴾ .... ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣٠ - ٣٥) ثم قطع فحوار بين سليمان ورسل الملكة ثم بين سليمان وملأه ٣٦ - ﴿ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ(٤١) ﴾ ثم قطع فحوار بين سليمان وملكة سبأ ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا

عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿ يقطعه استرجاع (خارجى) ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ(٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ(٤٣) ﴾ ([١٧]) .

ومن ثم تختتم القصة باكتمال الحوار ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٤) ﴾ .

ـ قصة أصحاب الكهف :

تبدأ القصة باستباق تمهيدى (تكرارى) يختلف عن باقى الاستباقات التى مرت بنا حتى الآن ، إذ تعرض القصة بكاملها فى ثلاث لقطات موجزة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا(٩)إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(١٠)فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا(١١)ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا(١٢) ﴾ ثم على الترتيب نفسه تفصل الأحداث فى هيئة استرجاعات خارجية ، قبل دخولهم إلى الكهف ، ثم داخلية بعد ذلك ، ويبدأ تفصيل الأحداث بوصف أصحاب الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(١٣) ﴾ ثم مشهد حوارى بينهم وبين أنفسهم يفصِّل الاعتزال والإيواء إلى الكهف ، ومن ثم توجز المدة التى أمضوها فى الكهف ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ

---

(١٧) قوله تعالى : ﴿ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ(٤٢) ﴾ إذا كان من كلام الملكة ـ وقد يكون ـ فلعلها أسلمت عند ورود كتابه إليها ، فقد وصفته بأنه كتاب كريم ، فأغلب الظن أنها لم تستشر قومها إلا بعد أن قرأته ورددت فيه النظر مرات ومرات ورأت =

= فيه رأيها . والنص يحتمل كذلك أن هذايكون من كلام سليمان ؛ لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ فكان يعلم أن الذى صدها هو ما كانت تعبد من دون الله ؛ إذ كانت من قوم كافرين .

الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾ ... ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا(١٨) ﴾

هنا يعرض الحدث فى تواتره : يُعرَض مرة واحدة ما يحدث مرات متعددة ، وهو الحدث الوحيد المتعلق بهم طوال مدة لبثهم ، طلوع الشمس وغروبها عليهم ، وتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال .

ويستمر الحوار بينهم بعد بعثهم متسائلين عن مدة لبثهم ، وبعد إيجاز لمدة من حياتهم ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ (٢١) يتنازع القوم بينهم أمرهم ويستمر الحوار ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا(٢١) ﴾ ويستمر الحوار فى صيغة استباق العليم ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا(٢٢) ﴾ .... - ٢٦) .

ـ قصة صاحب الجنتين :

تبدأ القصة باستباق يوجز عطاء الله لأحد رجلين متحاورين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا(٣٢)كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا(٣٣)وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ..... (٣٤) الكهف . ومن ثم يسيطر الحوار على القصة ؛ فى مفاخرة صاحب الجنتين ، ونصح صاحبه له (٣٤ ـ ٤١) وتختتم بوصف يقف فيه الزمن ، فقط تُعرض صورة صاحب الجنتين فى يأسه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ

فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا(٤٢)وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا(٤٣)هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا(٤٤) ﴾ وفيها استرجاع لما قال له صاحبه من قبل ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا(٤٠)أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا(٤١) ﴾ هذا والقصة كلها استرجاع لقوله تعالى قبل : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا(٢٨) ﴾ .

ـ قصة أصحاب الجنة :

تتكون القصة من أربعة مقاطع سردية يتوالى فيها الزمن تاريخيا (خطيا) بعد بداية القصة التى تأتى على هيئة استرجاع خارجى (خارج القصة) يتصل بقصة أصحاب الجنة بعلاقة المشابهة فى الابتلاء وعلى الاسترجاع يأتى استباق داخلى (إعلانى) ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧)وَلا يَسْتَثْنُونَ(١٨) ﴾ القلم . وبعدها تعرض الأحداث فى لقطات سريعة يبدو فيها التوالى الزمنى واضحا ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩)فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠)فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(٢١)أَنْ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ(٢٢)فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣)أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤)وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥) ﴾ ومن ثم تختتم القصة بمشهد حوارى بين الإخوة وبعضهم يستعيدون فيه ما كان من بعضهم من نصح ، وما كان منهم من ظلم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧)قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ(٢٨)قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩)فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ(٣٠)قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١)عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا

خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) ﴾ ومن ثم نعود مرة أخرى إلى البداية باسترجاع يعيدنا مرة أخرى إلى حاضر السرد ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣) ﴾ فهكذا كان عذاب أصحاب الجنة ، ولكن هناك عذابا أكبر يوم القيامة ، لو كان يعلم الذين بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة .

ـ فى قصة ابنى آدم عليه السلام :

نبدأ القصة مع الاسترجاع الخارجى ، وإيجاز أحداث القربان ، ومن ثم يبدأ مشهد حوارى بين الأخوين ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧) ﴾ .... (٣٠) المائدة . ثم إيجاز أحداث القتل وإرسال الغراب ومن ثم يأتى مشهد الندم ليختتم القصة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٣٠)فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(٣١) ﴾ .

ـ فى قصة ذى القرنين :

تتكون القصة من ست وحدات سردية ، تتوزع على أربعة مواقع زمنية : الموقع الأول موقع حاضر السرد ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(٨٣) ﴾ ومعه تبدأ الوحدة السردية الأولى بمفارقة زمنية تأخذ شكل استباق داخلى يحدد موضوع القصة ، وأنها خبر ذى القرنين ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(٨٣)إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا(٨٤) ﴾ و بعد إيجاز مدة من الزمن ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا(٨٥) ﴾ يتم

الانتقال زمنيا إلى الموقع الثانى ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا ﴾ (٨٦) ومن ثم يبدأ حوار بين الله وذى القرنين (٨٦ - ٨٨) يليه إيجاز ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا(٨٩) ﴾ يعقبه الموقع الزمنى الثالث ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا(٩٠)كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا(٩١) ﴾ ثم إيجاز ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا(٩٢) يليه الموقع الزمنى الرابع الذى يسيطر عليه المشهد الحوارى بين ذى القرنين والقوم الذين وجدهم بين السدين ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا(٩٣)قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ .... (٩٣ - ٩٨) ومن ثم تختتم القصة باستباق خارجى ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا(٩٩) ﴾ أو هى اختتمت من قبل بالمشهد الحوارى السابق .

ــ خصائص البنية الزمنية فى القصص القرآنى :

رأينا كيف يهيمن المشهد الحوارى على السرد القصصى القرآنى ، ومن خصائص المشهد أننا فيه نجد التحام الزمن القصصى بالزمن السردى ، ويصير حاضر السرد هو حاضر الأحداث ، فيتحول المتلقى إلى مشاهد يعاين الوقائع بنفسه ، ينفعل بها ، ويتفاعل معها كأنه واحد من شخصيات المشهد . ويتناوب الحذف ، والإيجاز ، والمشهد كثيرا ؛ **الحذف** يتخطى أحداثا لا يحتاجها الموقف القصصى ، وهو يتراوح بين أن يكون حذفا ضمنيا ، يستدل عليه من ثغرة فى التسلسل الزمنى ، أو انحلال للاستمرارية السردية كما نجد مثلا فى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٧٢)فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٧٣) ﴾ ص . وكما رأينا فإن جل حذوف القصص القرآنى من هذا النمط ، وفى مواطن كثيرة نستطيع الاستدلال على الحذف من

مواضع أخرى فى سياقات مختلفة ، ومرة واحدة فقط وجدنا حذفا محدود المدة ، فى قوله تعالى من قصص نوح عليه السلام فى سورة العنكبوت : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ(١٤) ﴾ - **والإيجاز** يعرض للأحداث عرضا سريعا مجملا لأهمية ذكرها فى السياق ولكن فى غير تفصيل ، كما فى وظيفة الإهلاك والنجاة ، فى قصص الأنبياء ، التى تأتى - غالبا - موجزة ؛ فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل ، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة - **والمشهد** يعرض الأحداث الرئيسية المشكلة للعمود الفقرى للنص ، وهو يأتى غالبا على هيئة حوار خارجى أو مونولوج داخلى (١٨) . ولكن " بالرغم من كون الحوار هو الشكل الأكثر صرفا للمشهد ، فالسرد المفصل لحدث ما يجب اعتباره كذلك مشهديا ... فإن ما يميز مشهدا ما هو كم الإخبار القصصى والمحو النسبى للراوى " (١٩) و " يعطى المشهد للقارئ إحساسا بالمشاركة الحادة فى الفعل ، إذ إنه يسمع عنه معاصرا وقوعه كما يقع بالضبط ، فى لحظة وقوعه نفسها . ولا يفصل بين الفعل وسماعه سوى البرهة التى يستغرقها صوت الروائى فى قوله ، لذلك يستخدم المشهد اللحظات المشحونة ، ويقدم الراوى دائما ذروة سياق من الأفعال وتأزمها فى مشهد "(٢٠) ؛ ويرى " ويليام هاندى " بحق ، أن المشهد فى العمل السردى يمكن أن يُنظر إليه على أنه مماثل للصورة فى الشعر ، ومن ثم يضيف أن " كلا من المشهد والصورة يمتلك الخصائص الأساسية نفسها :

١ - كلاهما يعرض أكثر مما يوحى .

---

(١٨) Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des science du langage, éd.du Seuil, coll.Points, 1995, P. 713

(١٩) شلوميت ريمون كنعان ، التخييل القصصى : الشعرية المعاصرة ، ترجمة لحسن أحمامة ، دار الثقافة (الدار البيضاء) ط١ ، ١٩٩٥ ، ص ٨٥

(٢٠) عبد العالى بوطيب ، إشكالية الزمن فى النص السردى ، مجلة فصول العدد الثانى ، المجلد الثانى عشر ، ١٩٩٣ ، ص ١٢٩ ؛ وربما لهذا السبب نجد اعتماد الرواية على المشهد كثيرا؛ لدوره الكبير فى استبطان النفس ، وإضاءة جوانب الأحداث ، وإسهامه فى البناء القصصى ، انظر : يوسف نوفل : الفن القصصى بين جيلى طه حسين ونجيب محفوظ ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨، ص: ٢٥٦ ، وانظر للمؤلف نفسه : فى القصة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص: ١٠٥

٢ ـ كلاهما يشكل مظهرا مفردا لمعنى مضاعف .

٣ ـ كلاهما يقصد إلى صياغة الخصوصية ، أى نسيج التجربة .

٤ ـ كلاهما موجه ، أولا ، إلى الحس ـ وليس إلى الفكر المجرد .

٥ ـ كلاهما يتخطى المفهوم فى احتوائه معنى أكبر مما يستطيع المفهوم أن يصوغه من خلال طبيعته الأصلية . " (٢١) ، إنها اللحظات الأكثر توترا فى القصة يعرضها المشهد الحوارى (غالبا) فى القصة القرآنية ، كما رأينا مثلا فى قصص الأنبياء ، حيث تأتى دائما وظيفتا : الدعوة ، والتكذيب على صورة مشهد حوارى ، وهما الوظيفتان الأكثر أهمية فى القصص القرآنى بوصفه وسيلة دعوة . و**الوصف** يكاد لا يوجد فى القصص القرآنى اللهم إلا فى مواضع معدودة ؛ أظهرها ما قابلنا من وصف لقارون فى سورة القصص ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وكأنه دمية تمثل زينة الحياة الدنيا ؛ تُعرض فى صمت ليفتن الناس بها . وكذلك وصف صاحب الجنتين فى سورة الكهف ، حين ضاعت جنتاه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ .

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمنى القصة والسرد ، فكثيرا ما تبدأ القصص باستباق ، يهىء نفس المتلقى ، ويوجه توقعاته ، كما رأينا فى قصص آدم عليه السلام ؛ حيث هناك الاستباق الإعلانى الذى يتصدر أكثر القصص ، وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين ، وما يلى بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق ، كما رأينا من رفض إبليس السجود لمخلوق طينى . وحين تبدأ قصة آدم فى سورة طه باستباق داخلى عن نسيان آدم ، فإن السرد يسير من ثم على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم . وكما رأينا أيضا فى قصص سورة القمر ، التى تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة ، الذى كان دائما تكذيب قوم نبى من الأنبياء .

---

(٢١) ويليام هاندى : نحو نقد شكلى للرواية ، ترجمة عيسى العاكوب ، مجلة شئون أدبية ، السنة الثانية ، العدد ٦ ، ١٩٨٨، ص: ٦٩

والاستباق المختلط فى القصص القرآنى له خصوصيته التى تتمثل فى انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل فى القيامة ، كما فى قصة آدم من سورة طه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا(١٢٥)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى(١٢٦) ﴾ أو كما نرى فى قصة ذى القرنين من سورة الكهف : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا(٩٨)وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا(٩٩) ﴾ .

والاسترجاع كذلك يقابلنا فى القصص القرآنى ، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذى يبدأ به أكثر القصص ؛ فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم فى قصة هود عليه السلام من سورة هود : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ(٦٠) ﴾ وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية ؛ وهذا راجع أولا ـ لطبيعة صاحب الخطاب عز وجل عالم الغيب والشهادة ؛ وثانيا ـ لطبيعة القصة القرآنية التى هى وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة . وربما تركز الاسترجاع فى قصص نبى من الأنبياء ، كما فى قصص لوط عليه السلام من سور : القمر ، والشعراء ، والحجر ، والعنكبوت ؛ فى القمر يأتى الاسترجاع للتذكير بأن ما حل بقومه إنما كان جزاء وفاقا لما قابلوا به دعوته لهم وإنذاره ، من تجاهل وتكذيب ، ومثل ذلك فى سورة الشعراء ؛ بينما فى سورتى الحجر والعنكبوت ، فيأتى استرجاع جانب من قصص إبراهيم عليه السلام . وفى قصة موسى والعبد الصالح نجد الاسترجاع أربع مرات متتالية ، كما رأينا من قبل .

وتجدر الإشارة إلى أن القصة القرآنية ، لوجودها فى فضاء النص القرآنى ، تخضع لزمنيتين مختلفتين : الأولى تتعلق بزمن القصة القرآنية ، وتتعلق الثانية بزمن النص القرآنى ؛ زمن القصة

يبدأ مع الدخول الفعلى فى عالمها ، وزمن النص القرآنى يحيط بزمن القصة ، ويحتويه ، ويمكن أن نعده زمنا حاضرا للسرد ، أو زمنا أول تقاس المفارقات الزمنية الكبرى بالنسبة إليه ؛ فالقصة بكاملها تكون استرجاعا أو استباقا حين تتعلق بهذا الحاضر الزمنى للنص ، كما رأينا مثلا فى قصة أصحاب الجنة : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧) ﴾ أو فى قصص سورة القمر : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ وفى غيرها .

٢ ـ الصيغة السردية

لاحظنا فى الفصل السابق هيمنة الصيغتين الرئيسيتين (المشهد الحوارى والموجز) وبروز خصائصهما فى زمنية السرد القصصى القرآنى ؛ وكلامنا هنا سينبنى على الكلام هناك ؛ لأن التمييز بين هاتين الصيغتين - أولا - لا يتأتى إلا من خلال التمييز بين زمن القصة وزمن الحكاية - وثانيا - لأن البحث فى الصيغة يقوم أساسا على هذا التمييز بين الخطابين : المسرود ، والمعروض ؛ أى إلى الموجز ، والمشهد الحوارى .

منذ جمهورية أفلاطون ، نجد التفريق بين طريقتين لنقل الكلام : أ ـ الحكاية الخالصة ، حيث يكون الشاعر نفسه هو المتكلم ، من غير أن يحاول الإيحاء بأن أحدا آخر هو الذى يتكلم . ب ـ المحاكاة (التقليد) حيث يبذل الشاعر جهدا ليحملنا على الاعتقاد بأنه ليس هو المتكلم ، وإنما شخصية ما . فالمحاكاة من ثم تحيل على النقل غير المباشر للكلام ([1]) .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين يعود الحديث مرة أخرى عن الحكاية الخالصة والمحاكاة ، ولكن تحت أسماء أخرى : كالتعبير (Telling) والعرض (Showing) مع " هنرى جيمس " وأتباعه . حيث دعا " هنرى جيمس " إلى توجيه الاهتمام إلى عرض الحدث ، أو مسرحته ، لا إلى سرده ؛ فعلى القصة أن تحكى نفسها بنفسها . أو كما يقول " بيرسى لبّوك " : إن على الكاتب أن يتجه نحو الدراما فيأخذ له موضعا وراء الحدث ، تاركا الشخصيات تعبر عن نفسها بتلقائية ، بعيدا عن تدخله المباشر بأفكاره الخاصة ([2]) .

---

(١) Yves Reuter, introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod, 1996, P. 61 & Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des science du langage, éd.du Seuil, coll.Points, 1995, P. 229

(٢) بيرسى لبوك ، صنعة الرواية ، ترجمة عبد الستار جواد ، دار الرشيد للنشر ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص. ١٣٨-١٣٩

ولدى الشكليين الروس ، نجد كذلك هذا التمييز ، ولكن ، كما نرى عند " توماشفسكى " تحت اسم : السرد الموضوعى Objectif والسرد الذاتى Subjectif فى الحالة الأولى نجد الراوى المحايد ، الذى لا يتدخل فى سير الأحداث ، وإنما يصفها فحسب كما يراها ، تاركا الحرية للقارئ فى تفسير ما يُحكى له . بينما فى السرد الذاتى تُقدم الأحداث من خلال ذات الراوى ، فتأتى مشبعة بأفكاره التى يحاول أن يفرضها على القارئ ، ويحمله على الاعتقاد بها (٣) .

وحتى لا يأخذنا الحديث عن تاريخ الصيغة السردية ، وهو تاريخ طويل ، متشعب ، تتداخل فيه اختصاصات مختلفة ؛ فإننا نعود إلى تحديد مجال البحث الذى ينطلق أساسا من الأدبية (الشعرية) الحديثة ، كما رأيناها عند أصحاب مجلة Communication مثل Todorov الذى يرى أن مقولة الصيغة ، ويسميها : سجلات الكلام (٤) Registres de la parole تتعلق بطريقة الراوى فى عرض المحكى وتقديمه . فنحن بواسطة الكلمات نستحضر كونا مصنوعا من الكلمات ، وآخر مصنوعا من النشاطات غير اللفظية ، وهذا لا يطرأ عليه تنوع فى الصيغة ، إنما تنويعات تاريخية تُنتج ، بنجاح متفاوت وحسب مواضعات العصر ، وهم الواقعية . وبعكس ذلك فإن لقص الكلام أنواعا متعددة ؛ لأن الكلام يمكن أن يأتى بهيئات متغايرة ، متفاوتة الأهمية ؛ ومن ثم يعرض لاقتراح Genette الذى يميز فيه بين درجات ثلاث من الإقحام : الأسلوب المباشر ، وفيه لا تطرأ على الخطاب أية

---

(٣) الشكلانيون الروس : نظرية المنهج الشكلى . ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ١٩٨٢ ، ص ، ١٨٩ وانظر أيضا : جان ايف تادييه ، الشكليون الروس ، ترجمة قاسم المقداد ، مجلة المعرفة ، سوريا ، السنة ٣٠ ، العدد ٣٣٢ مايو ١٩٩١، ص : ١٠١

(٤) لأن العمل الأدبى ـ كما يقول ـ ليس مصنوعا من كلمات وإنما من جمل تنتمى إلى سجلات مختلفة من سجلات الكلام ، ووصف هذه السجلات يمثل أول مهمة على الناقد أن يقوم بها ، حيث ينبغى أن نبدأ بمعرفة الوسائل اللسانية التى تتوفر للكاتب ، ينبغى أن نعرف خصائص الكلام قبل إقحامه فى العمل الأدبى ، فذلك ضرورى لمعرفة الخطاب الأدبى ذاته Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2, Poétique, . Paris, Ed.du Seuil, Coll. Points, 1968, P. 39-40 وتودوروف ، الأدب والدلالة ، ترجمة محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضارى (سوريا) ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ٨١

تعديلات ، والأسلوب غير المباشر أو " الخطاب المحكى " حيث نحافظ على مضمون الرسالة التى افترض التلفظ بها ، ولكن بإدماجه نحويا فى قصة الراوى ؛ كأن نختصر أو نحذف الانطباعات العاطفية ؛ والدرجة الأخيرة من تغيير كلام الشخصية هى : الخطاب المروى ؛ ويُكتفى فيه بتسجيل مضمون عملية الكلام دون الاحتفاظ بأى عنصر منه (٥) .

وفى مقال سابق كان Todorov يرى أن هناك نمطين رئيسيين من أنماط السرد ، هما : التمثيل (العرض) représentation والحكى narration يقول Todorov : " يمكن أن نفترض أن هاتين الصيغتين فى السرد المعاصر تأتيان من مصدرين مختلفين : الإخبار la chronique والدراما le drame والإخبار أو التأريخ ، حسب ما نعتقد ، حكى خالص ، حيث يكون المؤلف مجرد شاهد ينقل الوقائع ، والشخصيات الروائية لا صوت لها . والقواعد المتبعة هى قواعد الجنس التاريخى . وعلى العكس من ذلك ، ففى الدراما لا تنقل القصة خبرا ؛ فهى تجرى أمام أعيننا ... فليس هناك سرد ، والحكى مضمّن فى حوار الشخصيات الروائية " (٦) .

أما Genette فيقارب الصيغة السردية ، معتمدا على تعريف " ليتريه " Littré وهو يحدد المعنى النحوى لمادة mode بأنها " اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة المستخدمة لتأكيد الشىء المقصود ، وللتعبير عن ... وجهات النظر المتغايرة " * فيرى أن هذا التعريف شديد الأهمية ؛ إذ إننا نستطيع أن نروى كثيرا أو قليلا مما يُروى ، وأن نرويه من وجهة النظر هذه أو تلك ، وهذه القدرة وأشكال ممارستها ، هى التى تشير إليها مقولة

---

(٥) Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme, P.51

(٦) Tzvetan Todorov,Les catégories du récit Littéraire, Communications n8,éd .du Seuil, coll. Points,1981,P. 150

* « nom donné aux différentes formes du verbe employées pour affirmer plus ou moins la chose dont il s'agit, et pour exprimer ... les différents points de vue auxquels on considère l'existence ou l'action »

الصيغة السردية التى يقترحها (٧) . ومن ثم فالمسافة التى يكون عليها فعل الحكى Le récit من القصة l' histoire التى يتضلع بوصفها ، وكذلك المنظور أو وجهة النظر التى يتبناها هما - يقول Genette - الشكلان الأساسيان لذلك التنظيم الذى يتشكل فيه الخبر السردى ، ويسمى الصيغة (٨) .

بعد ذلك يتحدث عن حكاية الأحداث ، وأنها مهما تكن صيغتها فهى دائما حكاية ، أو نقل لغير اللفظى إلى ما هو لفظى ، ثم حكاية الأقوال التى يميز فيها بين حالات ثلاث من خطاب الشخصية تبعا للمسافة السردية :

١- الخطاب المسرود ، أو المروى Le discours narrativisé وهو الحالة الأبعد مسافة والأكثر اختزالا. وفيه يختفى تماما كل صوت ماعدا صوت الراوى ، الذى يسرد الأحداث وأقوال الشخصيات ، سواء بسواء ، بلغته هو ، فلا يعود من كلام الشخصيات غير أثر ضعيف ، ربما يُرجع إليهم لكنه لا يعبر عنهم .

٢ - الخطاب المحول Le discours transposé أو الأسلوب غير المباشر Style indirect وهو خطاب أكثر محاكاة من الخطاب المروى ، لكنه لا يمنح القارئ أى شعور بأمانة النقل للأقوال المنطوقة فى الواقع ، وذلك لأن حضور السارد فيه شديد الوضوح ، مما يمنع الخطاب أن يفرض نفسه باستقلال وثائقى يتوفر أكثر فى الاستشهاد ؛ فالسارد هنا لا يكتفى بنقل الأقوال ، وإنما يدمجها فى خطابه الخاص ، و يؤديها بأسلوبه .

---

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972, P. 183
(٨) Ibid. P. 184

٣ ـ الخطاب المنقول Le discours rapporté وهو أكثر الأشكال محاكاة ، وفيه يتظاهر السارد بإعطاء الكلمة حرفيا لشخصيته ، والغريب أن واحدة من أكبر طرق تحرر الرواية الحديثة قد قامت على دفع محاكاة الخطاب هذه إلى أقصى مداها ، بل إلى منتهاها ، وهى تمحو آخر آثار المقام السردى معطية الكلمة منذ البدء للشخصية السردية (٩) .

وربما أضاف بعضهم ، إلى هذه الحالات الثلاث ، حالات أخرى من خطاب الشخصية ، منها : الأسلوب غير المباشر الحر Le Style indirect libre وهو ليس إلا تنويع على الخطاب المحول ؛ والخطاب المباشر أو الاستشهاد النصى بخطاب الشخصية Le discours immédiat وفيه يمحى الراوى ، وتحل محله الشخصية (١٠) ، وهناك أيضا الخطاب المباشر الحر وهو ، فيما تقول شلوميت ، الشكل النموذجى لضمير المتكلم فى المونولوج الداخلى .... (١١)

ولكننا فى دراستنا لطرائق القول فى القصص القرآنى ، لن نكون بحاجة لكل هذه الحالات ؛ لأن التنوع الصيغى ـ كما سنرى ـ ليس كبيرا ، ويمكن حصره فى الحالات الثلاث التى عرض لها Genette فى حديثه عن حكاية الأقوال ، الذى يمكن أن نضمنه ـ دون أى خوف من خطر الوقوع فى اللبس ـ حكى الأحداث ، الذى يأتى بصيغة الخطاب المسرود ، وبذلك يقع ضمن الحالة الأولى التى تحدث عنها (صيغة الخطاب المسرود) وفيها يوجز المتكلم أقوال الشخصيات ، كما يسرد أى حدث ، فلا يكون هناك أى علاقة بين كلامه وما تنطق به الشخصيات ، اللهم إلا مرجعية تكاد تكون مبهمة لمحتوى كلامهم . وإذا

---

(٩) Ibid. P. 191-193

(١٠) Gérard Genette, Ibid. P. 194 & Vincent Jouve, La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999, P. 30-31

(١١) شلوميت كنعان ، التخييل القصصى ، ص ١٦٠ـ ١٦٢ ، وهى تنقل ، فى حالات عرض الكلام ، عن ماكهيل ، مقياسا تصاعديا يتسلسل من الحكائى على نحو صرف إلى المحاكاتى على نحو صرف ، هذه الحالات (السبع) هى على التوالى : التلخص الحكائى / التلخص الحكائى الأقل صرفا / الصياغة الجديدة للمضمون غير المباشر / الخطاب غير المباشر ، محاكاتيا إلى درجة ما / الخطاب غير المباشر الحر / الخطاب المباشر / الخطاب المباشر الحر .

كانت الحالة الأولى تشمل حكى الأحداث والأقوال ، فإن الحالة الثانية (صيغة الخطاب المعروض) تختص بحكى الأقوال فحسب ، و تأتى فى أشكال مختلفة ، منها : صيغة الخطاب المنقول المباشر ، وفيه نجد نص حوار الشخصيات كما جرى فى الواقع ، لكن ينقله متكلم خارجى (غير شخصيات الحوار) مع التنصيص على أن الكلام لتلك الشخصيات ، وصيغة الخطاب المنقول غير المباشر ، وفيها ينقل المتكلم حوار الشخصيات دون التنصيص على ذلك ، وأخيرا صيغة الخطاب المعروض غير المباشر ، حين يتداخل الخطاب المسرود والخطاب المعروض تداخلا يصعب الفصل فيه بين الصيغتين .

ـ قصص آدم عليه السلام :

أ ـ فى سورة ص :

﴿ قل هو نبأ عظيم(٦٧)أنتم عنه معرضون(٦٨)مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ(٦٩)إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ(٧٠) ﴾ يبدأ الحكى بصيغة المعروض غير المباشر فى تداخل صيغى ، يجمع بين المسرود والمعروض فى صيغة موحدة ، حيث يبدأ الخطاب بصيغة المسرود الموجه مباشرة من القائل عز وجل إلى محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ ثم تتحول الصيغة ضمن المسرود إلى صيغة المنقول المباشر حيث تتداخل الصيغتان تداخلا وهميا سرعان ما يتكشف عن صيغتين متغايرتين ، ووظيفتين مختلفتين أولاهما أمر بالقول ، والأخرى تنفيذ هذا الأمر فى سرعة توحى باندماج الأمر فى الفعل ؛ فها هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم أمام كفار مكة يتحدث إليهم ، قبل اكتمال ما أريد منه ، ليكتمل فى عمله هو ـ اختصارا معجزا بليغا ـ فالخطاب المسرود فى

صيغة الأمر لاستغرق أكثر من آية ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ(٦٧) ﴾ وهناك بقية تأتى فى صيغة أخرى ، صيغة المنقول المباشر .

وبعد القطع يأتى الخطاب بصيغة المنقول المباشر كذلك مع اختلاف الصوت ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(٧١)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٧٢) ﴾ يلى هذا موجز مسرود ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٧٣)إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٧٤) ﴾ يضىء لنا جانبا فى طبيعة الملائكة وطاعتها المطلقة لأوامر ربها ، وجانبا مضادا مركوزا فى طبيعة إبليس وعصيانه المطلق . ومن ثم تعود صيغة المنقول المباشر لتستمر حتى نهاية القصة .

ب - فى سورة الأعراف :

يبدأ الخطاب القصصى بصيغة المسرود بضمير الجماعة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(١١) ﴾ وعن المسرود تنبثق صيغة المنقول المباشر ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ التى تستمر على مدى سبع آيات مع تحول ضمير الجماعة إلى صيغة المتكلم المفرد ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(١٢)قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ(١٣)قَالَ ﴾ ..... (١٨) هذا التحول ، من ضمير الجماعة إلى المتكلم المفرد ، نلاحظه مع تغير الصوت من المتكلم إلى الغائب . ثم التحول من صيغة المسرود إلى المنقول المباشر ، يتكفل بدور كبير فى تطويع أسلوب القص للموقف المحكى ؛ فعندما كان الحديث عن الخلق والتصوير كان استعمال المسرود مناسبا ؛ فهو حديث عن تكريم المخاطبين ، والخطاب المباشر تكريم لهم ؛ ثم عندما جاء الحديث عن إبليس وعصيانه

ناسب أن يكون ذلك بصيغة المنقول المباشر التى هى كالأولى لكن ينقلها ناقل (وسيط) ربما إلماحا لعظم الأمر الواقع من إبليس .

ويتحول الخطاب إلى آدم متخذا صيغة المعروض المباشر ﴿ وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(١٩) ﴾ تكريما لآدم فلا وسيط ، إنما نرى نحن ، ونسمع ما كان ، كما كان .

وفى صيغة المسرود يوجز النص لنا ما كان من وسوسة الشيطان لهما ، وهدفه من ورائها ، ونتيجتها من ظهور السوءة ، والخصف من ورق الجنة ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ(٢٠)وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(٢١)فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ(٢٢) ﴾ وضمن المسرود المؤطر لهذا الجزء من القصة يأتى المنقول المباشر وغير المباشر للإخبار بما كان من إبليس وإغوائه آدم ، ونصحه الزائف ، وحلفه الكاذب ، وكأنه لم يترك سبيلا ممكنا لإغواء آدم إلا سلكه . ويأتى العتاب والتوبة والأمر بالهبوط إلى الأرض فى الصيغة نفسها ، المنقول المباشر ؛ فقد ابتعد آدم بذنبه درجة ، فلم يعد الخطاب كما كان بصيغة المسرود .

جـ - فى سورة طه :

تبدأ القصة مع الخطاب المسرود الذى يأتى كمقدمة للحكاية توجز فحواها ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥) ﴾ ثم مع المنقول المباشر نطلع على ما كان من طاعة الملائكة وعصيان إبليس ، وتحذير آدم من عداوته ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا

لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى(١١٦)فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى(١١٧)إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى(١١٨)وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى(١١٩) ﴾ ومن ثم يعود المسرود ليوجز أحداث : إغواء الشيطان لآدم ، وخطيئته ، وتوبته ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى(١٢٠)فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(١٢١)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(١٢٢) ﴾ ويلاحظ تداخل الصيغتين : المسرود والمنقول المباشر فى حدث إغواء الشيطان ؛ ربما لأهمية نص كلام الشيطان ، الذى يعد مدخلا من مداخله إلى بنى آدم : الإغواء بالخلد والملك ؛ وفى صيغة المنقول المباشر كذلك يأتى الأمر بالهبوط ، والترغيب فى اتباع هدى الله متى جاء ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى(١٢٣)وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤) ﴾ .

د ـ فى سورة الإسراء :

مع صيغة المنقول المباشر ، الذى يتداخل معه المسرود ، يبدأ الحكى بضمير الجماعة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ﴾ ومن ثم تستمر صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة ، ويتحول الضمير من الجماعة إلى المفرد مع تحول الصوت من المتكلم إلى الغائب ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا(٦٢)قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا(٦٣)وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا(٦٤)إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا(٦٥) ﴾ .

هـ - فى سورة الحجر :

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المسرود ، بضمير الجماعة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٦)وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(٢٧) ﴾ ثم تتحول الصيغة إلى المنقول المباشر ، ويتحول الضمير إلى المفرد ، فى خلق آدم وطلب السجود ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٨)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٢٩) ﴾ ثم فى صيغة المسرود يوجز الخطاب أحداث طاعة الملائكة ، وعصيان إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٣٠)إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(٣١)﴾ ومن ثم يأتى حوار الله تعالى مع إبليس فى صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة(٣٢ - ٤٤) .

و - فى سورة البقرة :

نبدأ مع صيغة المنقول المباشر ، التى تهيمن على القصة كلها بدءا من حوار الله تعالى للملائكة حول خلق آدم ، ثم إعداده للخلافة فى الأرض ، وسجود الملائكة وامتناع إبليس .... حتى الهبوط إلى الأرض ؛ يتخللها من حين لآخر صيغة المسرود التى تضىء جوانب فى القصة بإيجازها لأحداث كثيرة فى كلمات قليلة ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٣٤) ﴾ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ (٣٦)﴾ ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧) ﴾ .

- محاولة تجميع :

لننظر الآن فى وظائف قصة آدم عليه السلام الست الرئيسية ، وفى علاقتها ببحث الصيغة :

١ - الإخبار بخلق آدم :

يأتى تبعا لطبيعة الإخبار معروضا فى صيغة المنقول المباشر ، لينقل لنا المشهد الذى يخبر الله فيه الملائكة بخلق آدم ، فى سور : ص ، والحجر ، والبقرة .

٢ ـ سجود الملائكة وامتناع إبليس :

تبدأ هذه الوظيفة بالأمر بالسجود ، فى صيغة المنقول المباشر ، فى مكانها من السياق ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ فى سورتى : ص ، والحجر . ﴿ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾ فى سور : الأعراف ، وطه ، والإسراء ، والبقرة . ويلاحظ أن طلب السجود لآدم فى سورتى : ص ، والحجر ، يأتى مرتبطا بالنفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى ، لأن الإخبار ههنا كان عن خلق بشر من صلصال ، أو من طين ؛ وكأن السجود ليس تكريما إلا لذلك الشىء المضاف إلى الطين فى آدم عليه السلام . وبعد الأمر بالسجود تأتى النتيجة مجملة فى صورة الخطاب المسرود الذى يوجز لنا مرحلة فاصلة فى قصة آدم عليه السلام ، ويضىء جوانب مهمة فى بناء شخصيات القصة : آدم وما كان من تكريم الله إياه بأمره الملائكة أن يسجدوا له بعد أن خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ؛ والملائكة ، بطاعتهم وامتثالهم لأمر الله ، وتسليمهم العميق الذى لا يشوبه شائبة تردد . وأخيرا إبليس باستكباره ، وكفره ، وحقده ، وعناده .

٣ ـ سكنى آدم وزوجه الجنة :

يأتى فى صيغة المنقول المباشر ، حيث نستمع إلى أمر الله تعالى لآدم وزوجه بسكنى الجنة ، والأكل مما فيها من نعم ، ونستمع كذلك إلى نهيه لهما عن الاقتراب من شجرة معينة فيها ، وتحذيره لهما من عدوهما إبليس . نستمع إلى أمرين : (اسكن ـ كلا) وإلى نهيين : (لا تقربا ـ لا يخرجنكما) ؛ الأمران متلازمان : السكنى والأكل ، والنهيان كذلك متلازمان متبادلان ؛ فالشيطان أخرجهما من الجنة بأن سول لهما الاقتراب من الشجرة المحرمة والأكل منها ، وهذا التبادل يبين نوع التحذير من إبليس العدو ، وأنه لم يكن تحذيرا من أشياء

متعددة ؛ بل كان تحذيرا من شيء واحد معين : من الاستماع إلى إبليس والأكل من الشجرة ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢٢) الأعراف .

٤ ـ طرد إبليس (من الجنة / من رحمة ربه / من منزلته التى كان فيها) :

رأينا فى " ٢ " أن سجود الملائكة وامتناع إبليس يأتى فى صيغة الخطاب المنقول المباشر ، حين نرى المشهد معروضا فى حوار بين الله وإبليس ، فى سور : ص ، والأعراف ، والإسراء ، والحجر . وهذه الوظيفة (طرد إبليس) من أطول وظائف السرد فى قصة آدم عليه السلام ، فهى ليست وظيفة أساسية فى قصة آدم فحسب ؛ بل هى وظيفة أساسية فى قصة الحياة بصفة عامة ؛ فهناك منذ أزمان سحيقة وقف إبليس من ربه موقفا أدى إلى طرده من رحمة الله ، أو من الجنة ؛ فتوعد من كان سببا فى طرده ، وتوعد أبناءه من بعده ، وبداخله حقد متقد متجدد ، ناره لا تخمد ؛ فقطع الوعد على نفسه بإغواء ذرية آدم إلا المخلصين منهم ، فلا سلطان له عليهم . وهذه الوظيفة لأهميتها تأتى فى صيغة الخطاب المعروض ، التى تنقل الموقف بكافة تفاصيله إلى المتلقى ؛ المشاهد فى هذه الحالة .

ونلاحظ اختلافا فى طريقة عرض هذه الوظيفة فى سورة الإسراء عنها فى السور الأخرى ؛ فالحوار يبدأ فى السور الثلاث الأخرى ، بسؤال الله إبليسَ عما منعه من السجود ـ تبكيتا ـ أما فى الإسراء ، فيبدأ باستنكار إبليس واستنكافه أن يسجد لمخلوق من طين ، وتطاوله على ربه منذ البداية : ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(٦١)قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا(٦٢) ﴾ لهذا يأتى توعد الله له ههنا مصحوبا بإخباره بكل سبل الغواية التى يستطيع أن ينفذ منها إلى بنى آدم ، ويأتى استطراد بصيغة المسرود ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا(٦٤) ﴾ فكل ذلك محض هباء باطل .

٥ ـ الخطيئة والتوبة :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغة الخطاب المسرود ، متبوعة بصيغة ملازمة هى صيغة المنقول المباشر ؛ ففى الأعراف ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ ﴾ ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وفى طه ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ ﴾ ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(١٢١)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(١٢٢) قَالَ ﴾ وفى البقرة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ﴾ ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا ﴾ هذا التعليق الذى يتكفل به صوت خارجى ، ويأتى فى صيغة الخطاب المسرود ، يتداخل مع صيغة الخطاب المعروض التى تهيمن على القصة ؛ وهذا التداخل يؤدى إلى الإحاطة بجميع جوانب حدث الخطيئة والتوبة .

٦ ـ الهبوط إلى الأرض :

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤) ﴾ الأعراف . ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى(١٢٣) ﴾ طه . ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩) ﴾ الحجر . ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٣٦) ﴾ البقرة . تأتى هذه الوظيفة فى صيغة الخطاب المنقول المباشر ، وتنتهى بآدم وذريته خلفاء فى الأرض وإبليس عدو لهم مبين .

- نوح عليه السلام :

١ - إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغتين متلازمتين ؛ حيث تبدأ بصيغة الخطاب المسرود ، ثم تتحول إلى صيغة المنقول المباشر ؛ ففى الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٥٩) ﴾ تبدأ بخطاب مباشر من الله تعالى ينبثق عنه نقل خطاب نوح إلى قومه ، والصيغة نفسها تأتى فى سور : هود ، ونوح ، والمؤمنون ، والعنكبوت .

٢ - تكذيب قومه له :

ليست هناك صيغة ثابتة لهذه الوظيفة : فمرة تأتى بصيغة المسرود ، كما فى سور : الشعراء ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥) ﴾ ويونس ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ (٧٣)﴾ ونوح . وأخرى تأتى بصيغة المعروض (المنقول المباشر) كما فى سور : هود ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ(٢٧) ﴾ والمؤمنون ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلاَئِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ(٢٤)إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ(٢٥) ﴾ والأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ(٦٠) ﴾ .

٣ - الأمر بصناعة الفلك :

فى سورة هود : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٣٦)وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(

٣٧)وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ(٣٨) ﴾ نبدأ مع صيغة الخطاب المنقول غير المباشر ، وأمر الله إلى نوح بصناعة الفلك ، ثم تنفيذ هذا الأمر ، وما لقى نبى الله فى سبيل ذلك من أذى بسخرية قومه منه ، ثم مع المنقول المباشر نستمع إلى رده على قومه فى ثقة وطمأنينة . وفى سورة المؤمنون ، تأتى أيضا بصيغة المنقول غير المباشر : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(٢٧)فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٢٨) ﴾ .

٤ ـ الطوفان ، ونجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغة : المسرود ؛ فى سورة القمر ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(١١)وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢) ﴾ والأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(٦٤) ﴾ والشعراء ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(١١٩)ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ(١٢٠) ﴾ وكذلك فى سور : يونس ، ونوح ، والعنكبوت ـ وفى سورة المؤمنون تأتى بصيغة المنقول غير المباشر ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(٢٧)فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٢٨) ﴾ وفى سورة هود ، تأتى فى صيغة المسرود يتداخل معها المنقول المباشر وتتضاف تعليقات خارجية ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ(٤٠)وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(٤١)وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى

نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الكَافِرِينَ(٤٢)قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ(٤٣)وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٤) ﴾ وكما نرى ، ما تزال صيغة المنقول المباشر تهيمن على الحكى .

- هود عليه السلام :

١ - إرسال هود ، والدعوة إلى عبادة الله وحده :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغة المنقول المباشر ، بعد أن يتم التحضير لها فى صيغة الخطاب المسرود ، كما فى سورة الأعراف ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ(٦٥) ﴾ وفى سورة هود ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ(٥٠) ﴾ وأيضا فى سورة الشعراء ؛ وتختلف الصيغة فى سورة الأحقاف ، حيث تبدأ بصيغة المنقول غير المباشر ، التى تحضر لصيغة الدعوة الرئيسية (المنقول المباشر) ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٢١) ﴾ .

٢ - تكذيب قومه له ، يأتى بصيغة المنقول المباشر كما فى الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٦٦)قَالَ ﴾ والشعراء ، وهود ، والأحقاف .

٣ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتى هذه الوظيفة بصيغة المسرود فى سورة القمر : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(١٩)تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠)فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(٢١) ﴾ والأعراف : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ(٧٢) ﴾ وكذلك فى الشعراء ، وفى هود : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ(٥٨)وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ(٥٩)وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ(٦٠) ﴾ حيث توجز أحداث القصة منذ بدء الدعوة إلى يوم القيامة . وفى الأحقاف تأتى بصيغة المعروض غير المباشر : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٤)تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ(٢٥) ﴾ حيث يتدخل ذلك الصوت الخارجى بتعليقه على الأحداث ، وإضافة الحكمة منها .

ـ صالح عليه السلام :

١ ـ إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده :

تأتى هذه الوظيفة كما فى قصص هود عليه السلام فى صيغة المنقول المباشر ، بعد أن يتم التحضير لها فى صيغة الخطاب المسرود ، كما فى الأعراف ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ والشعراء ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ(١٤١)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ وفى النمل تفتتح بصيغة المنقول غير المباشر ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ(٤٥)قَالَ ﴾

بإدماج دعوة صالح فى سرد حدث الإرسال ، وكأن وظيفة الدعوة ليست مقصودة فى السياق وإنما مكر القوم وإنكارهم للحق .

٢ ـ سيرة الدعوة ، وتكذيب قوم صالح :

تسيطر ههنا صيغة الخطاب المنقول المباشر ، وتتخللها أحيانا صيغة المسرود للربط بين الأحداث ، أو لإيجاز أحداث كثيرة لا حاجة للقصة بتفصيلها ، كحدث عقر الناقة الذى يأتى دائما فى صيغة المسرود : فى القمر ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ(٢٩) ﴾ و الأعراف ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ (٧٧) والشعراء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ(١٥٧) ﴾ وفى هود ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ (٦٥) فيمر غامضا كالحلم ؛ لتبقى فقط نتيجة هذا الفعل قائمة ؛ فالوقوع فى الخطيئة سهل يسير ، أما الخطير فهو تحمل نتيجتها .

٣ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتى بصيغة المسرود كما فى سورة القمر : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣١)وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(٣٢) ﴾ والنمل ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ(٥١)فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٥٢)وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٣) ﴾ وهود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ(٦٦)وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٦٧)كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ(٦٨) ﴾ والأعراف ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨) ﴾ وكذلك فى سورة الشعراء .

ـ لوط عليه السلام :

١ ـ سيرة الدعوة ، وتكذيب قوم لوط :

فى سورة الأعراف نجدنا أمام الدعوة مباشرة ، دون التقديم الذى كان يسبق قصص نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب على نحو ما مر بنا ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ ﴾ (٩٥) ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ (٨٥) أما عند لوط ، فتبدأ القصة مع دعوة لوط قومه فى صيغة الخطاب المنقول المباشر : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ(٨٠)إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(٨١) ﴾ وكذلك فى الشعراء ، وهود ؛ فى الشعراء تأتى صيغة المسرود لتقديم القصة التى تستمر بعد ذلك فى صيغة المنقول المباشر : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ(١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٦١) .... قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ(١٦٧)قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ(١٦٨)رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ(١٦٩) ﴾ وفى هود تبدأ القصة بمسرود ، يتخلله منقول مباشر : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ(٧٧)وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ثم تكتمل الأحداث بصيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ(٧٨)قَالُوا ﴾ .

٢ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتى هذه الوظيفة بكاملها بصيغة واحدة ، هى صيغة الخطاب المسرود ، مع اختلاف السياقات ؛ ففى سورة القمر : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ(٣٣)إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤)نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥)وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا

فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ(٣٦)وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٧)وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨)فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٩) ﴾ وفى الأعراف : ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ(٨٣)وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ(٨٤) ﴾ والشعراء ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ(١٧٠)إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ(١٧١)ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ(١٧٢)وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ(١٧٣)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٧٤) ﴾ وهود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ(٨٢)مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ(٨٣) ﴾ والحجر ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(٧٤) ﴾ وفى العنكبوت ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(٣٤)وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(٣٥) ﴾ وكأن ثم أمرا خاصا جعل الله تعالى يتكفل بإهلاكهم ، ويتكفل بعرض هذا الإهلاك فى صيغة المسرود .

ـ شعيب عليه السلام :

١ ـ إرسال شعيب ، والدعوة إلى عبادة الله وحده :

تأتى هذه الوظيفة كما فى قصص صالح عليه السلام فى صيغة المنقول المباشر ، بعد أن يتم التحضير لها فى صيغة الخطاب المسرود : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٨٥) ﴾ الأعراف وكذلك فى الشعراء ، وهود .

٢ ـ سيرة الدعوة ، وتكذيب قوم شعيب :

تأتى فى صيغة المنقول المباشر ؛ لتعرض علينا ما كان بين الجانبين بكل تفاصيل الدعوة والتكذيب ؛ كما فى الأعراف ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ والشعراء ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ(١٧٦)إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ .

٣ ـ نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين :

تأتى هذه الوظيفة فى صيغة الخطاب المسرود : فى الأعراف ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩١) ﴾ والشعراء ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٨٩) ﴾ وأيضا فى سورة هود ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩٤)كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ(٩٥) ﴾ .

ـ موسى عليه السلام :

وقصص موسى على طوله ، وانتشاره فى القرآن الكريم ، يأتى فى صيغة أساسية ، هى صيغة الخطاب المنقول المباشر ، وتأتى صيغة المسرود لتتخللها مجملة أحداثا كثيرة ، كما نرى مثلا فى وظيفة إهلاك فرعون التى تأتى دائما بصيغة المسرود ؛ ففى الأعراف ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ(١٣٦)وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ(١٣٧) ﴾ وفى طه ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ(٧٨) ﴾ وفى الشعراء ﴿

فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٥٧)وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(٥٨)كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(٥٩) ﴾ ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ(٦٦) ﴾ وفى القصص ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(٤٠)وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ(٤١) ﴾ وربما أتت هذه الوظيفة بهذه الصيغة للدلالة على أحد أمرين ، أو عليهما معا : الأول - أن تفصيل الأحداث ههنا لا جدوى من ورائه ، إنما المهم أن نعرف ما وقع بهذا المستكبر وقومه ، فناسب الاختصار ؛ فكانت صيغة الخطاب المسرود ؛ والثانى - أن هذه الصيغة بإجمالها حدث الإهلاك هكذا ، فإنها تدل على هوان فرعون وقومه وسهولة أخذهم على الله عز وجل .

بعد ذلك تأتى وظائف : الاختيار ، والدعوة ، والاستكبار والتكذيب ..... تبدأ وظيفة الاختيار للرسالة بصيغة الخطاب المعروض غير المباشر الذى يتداخل فيه المسرود بالمنقول المباشر ، وهذا الأخير سرعان ما يفرض هيمنته على الوحدة نجد هذا فى سورة طه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى(١١)إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٢)وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى(١٣) ﴾ وفى سورة القصص ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٣٠)وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ(٣١)اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ(٣٢) ﴾ وهذا التداخل للمسرود والمنقول المباشر ، فى صيغة المعروض غير المباشر ، ههنا يناسب عرض الحالة النفسية التى كان عليها موسى فى ذلك اللقاء الأول بينه وبين ربه .

وتأتى وظيفة الدعوة فى صيغة صريحة هى صيغة الخطاب المنقول المباشر بعد أن يتم التحضير لها فى صيغة المسرود ، كما نرى فى سورة الأعراف ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(١٠٣)وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠٤) ﴾ وفى سورة القصص ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ(٣٦)وَقَالَ مُوسَى ﴾ بينما يختلف الأمر قليلا فى سورتى طه ، والشعراء ، حيث تأتى وظيفة الدعوة بالصيغة نفسها ولكنها منبثقة عن الوظيفة السابقة لها (الاختيار للرسالة) ففى طه ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى(٤٧)إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى(٤٨)قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(٤٩) ﴾ وفى الشعراء ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦)أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٧)قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ(١٨) ﴾ .

ثم وظيفة الاستكبار والتكذيب ، ويهيمن عليها صيغة المنقول المباشر ، يتخللها المسرود أحيانا ، كما فى الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ(١٠٩)يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(١١٠) ﴾ ... (١٢٧) وفى طه تبدأ بصيغة المسرود التى تجمل ما يرفع العذر عن فرعون ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى(٥٦)قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى(٥٧)﴾ ... (٧٦) وفى الشعراء ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ(٢٥)قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ(٢٦)قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ(٢٧) ﴾ ... (٥٦) وفى سورة القصص ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ

مِنَ الْكَاذِبِينَ(٣٨)وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ(٣٩) ﴾ .

ـ قصة موسى ، والعبد الصالح :

تسيطر على القصة صيغة المنقول المباشر ، تتخللها صيغة الخطاب المسرود لملء الفضاءات : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا(٦٥) ﴾ وهذه الجزئية مع ذلك هى النواة الرئيسية أوالمحور الرئيسى للقصة ؛ فكل ما سيأتى من علم الله ومن رحمته ، والعبد الصالح يقول فى آخرها : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(٨٢) ﴾ .

ـ يوسف عليه السلام :

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المسرود : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ(٣) ﴾ .

١ ـ رؤيا يوسف (٤ ـ ٦) :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ(٤)قَالَ يَابُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٥)وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٦) ﴾ تأتى

بصيغة الخطاب المنقول المباشر ، وتكتمل بصيغة المسرود ، إذا كان الكلام لغير يعقوب عليه السلام (لله تعالى) .

٢ ـ حسد الإخوة (٧ ـ ١٨) :

يهيمن ههنا الخطاب المنقول المباشر يتخلله المسرود ، الذى تبدأ به الوحدة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ(٧)إِذْ قَالُوا ﴾ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٥)وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ(١٦) ﴾ فهل كان الوحى إلى يوسف كما سيأتى أم إلى يعقوب ، حيث نبأ أبناءه بأمر أكل الذئب ليوسف ، وخوفه من ذلك ، فكان السبب الذى اتكأوا عليه هو ما نبأهم به يعقوب من قبل ﴿ فَأَكَلَهُ الذئبُ ﴾ ؟

٣ ـ يوسف عند عزيز مصر (١٩ ـ ٢٢) :

تأتى هذه الوحدة بصيغة المسرود لتوجز جانبا من الأحداث ، ويأتى المنقول المباشر متخللا المسرود لعرض الأقوال المصيرية فى حياة يوسف : ﴿ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلامٌ ﴾ ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ .

٤ ـ محنة المراودة (٢٣ ـ ٣٤) :

نفتتح هذه الوظيفة بصيغة المسرود ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ تحضيرا للمنقول المباشر ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢٣) ﴾ ثم فى صيغة المسرود ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤)وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ لتبدأ صيغة المنقول المباشر

: ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٥)قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ ويأتى كلام الشاهد بعد ذلك بصيغة المنقول غير المباشر ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٢٦)وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٢٧) ﴾ فلم يكن الشاهد حاضرا ، وإنما حكيت له الوقعة ؛ فشهد بما شهد . ثم فى صيغة المنقول المباشر : ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ(٢٨)يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ(٢٩) ﴾ قد يكون الشاهد عندما رأى قال ، أو يكون زوجها هو القائل ردا على قولها ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ ويستمر السرد بصيغة المنقول المباشر حتى نهاية الوحدة ، تتخللها وتختمها صيغة المسرود ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٤)ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ(٣٥) ﴾ .

٥ ـ يوسف فى السجن (٣٥ ـ ٤٩) :

نبدأ مع المسرود الذى يتحول إلى المنقول المباشر : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٣٦)قَالَ ﴾ السرد يوجز الأحداث ، والعرض ينقل المشاهد الفاعلة التى تمثل الجوانب الرئيسية فى القصة : سؤال الفتيين يوسف تأويل حلميهما ، ودعوة يوسف لهما إلى عبادة الله وحده ، وتأويل حلميهما ؛ ثم تأويل رؤيا الملك والتبشير بعام الغوث .

٦ ـ براءة يوسف ، والتمكين له (٥٠ ـ ٥٧) :

تبدأ الوحدة مع الصيغة المهيمنة (المنقول المباشر) بطلب الملك ليوسف ، واعتراف النسوة بعفته ، واستخلاص الملك له ، والتمكين له فى الأرض ؛ وتختتم بصيغة الخطاب

المسرود : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦)وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٧) ﴾ .

٧ ـ قدوم إخوته عليه ، واجتماعه بأخيه (٥٨ ـ ٨٣) :

نبدأ الوحدة مع السرد تمهيدا لما يلى من أحداث : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ(٥٨)وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ﴾ ومن ثم تهيمن صيغة المنقول المباشر على الوحدة ، فى مشاهد حية نعيشها مع أصحابها .

٨ ـ تأويل الرؤيا (٨٤ـ ١٠١) :

تهيمن ههنا صيغة الخطاب المعروض (المنقول المباشر) يتخللها المسرود ، وتنتهى الوحدة بمعروض مباشر بصوت يوسف عليه السلام ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠١) ﴾ .

ـ قارون :

نفتتح القصة بصيغة الخطاب المسرود : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ القصص (٧٥) فى ومضات سريعة على القصة .

ثم يأتى نصح قومه له فى صيغة المنقول المباشر : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(٧٦)وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا

أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ(٧٧)قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ويتحول الخطاب إلى صيغة المسرود ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ(٧٨)فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وكأنه محض دمية تعرض على الناس ليُفتنوا بها . ومن ثم يأتى خطاب المشاهدين فى صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ(٨٠) ﴾ ثم يأتى الخطاب المسرود ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ(٨١) ﴾ وتختتم القصة بصيغة المنقول المباشر : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ(٨٢) ﴾ .

ـ سليمان عليه السلام :

نبدأ مع سليمان الأواب وفتنة الصافنات الجياد فى صيغة المسرود ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ(٣٠)إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ(٣١) ﴾ ومن ثم تأتى صيغة المنقول المباشر ومعها صيغة المسرود كذلك ، لعرض أوابيته وحبه الشديد لذكر الله ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ(٣٢)رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ(٣٣) ﴾ فهل كان ردها للتخلص منها لأنها شغلته عن ذكر ربه ؟! وهل كانت تلك الجياد فتنة له ، حيث شغلته وقتا عن ربه ؛ فصار بذلك كالجسد لاروح فيه ، يقول تعالى فى صييغة المسرود ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ

أَنَابَ(٣٤) ﴾ ولذلك يأتى قول سليمان فى صيغة المنقول المباشر ، مستغفرا وطالبا ملكا لاينبغى لأحد من بعده ؛ لأنه تخلص من الجياد تقربا إلى ربه : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(٣٥) ﴾ .

٢ ـ ومن ثم تأتى الوحدة الثانية : ملك سليمان فى صيغة المسرود : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ(٣٦)وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ(٣٧)وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(٣٨)هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٩)وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ(٤٠) ﴾ وفى سبأ كذلك ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(١٢)يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣) ﴾ .

٣ ـ ملك سليمان ، ودوره فى الدعوة إلى الله :

نحن هنا أمام مجموعة من المشاهد المعروضة ، يتم الربط بينها بصيغة الخطاب المسرود ، بدءا من تفقد سليمان للطير ، وتوعده الهدهد ، ومرورا بمجىء الهدهد بنبإ يقين ، ومن ثم التأكد من صدقه ، فإرساله إلى ملكة سبأ ، وهدية الملكة إلى سليمان ، ثم انتقال عرش الملكة ، وقدومها على سليمان ، وتعرفها على عرشها ، ثم إسلامها ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ(٢٠)لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ(٢٢)إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ(٢٣)وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ(٢٤) أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ(٢٥)اللَّهُ

لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(٢٦)قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٢٧)اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ(٢٨)قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ(٢٩)إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(٣١)قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ(٣٢)قَالُوا نَحْنُ أُوْلُو قُوَّةٍ وَأُوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ(٣٣)قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ(٣٤)وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(٣٥)فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ(٣٦)ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ(٣٧)قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ(٣٨)قَالَ عِفْريتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ(٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ(٤٠)قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ(٤١)فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ(٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ(٤٣)قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٤) ﴾ النمل ، وهذه الوحدة يمكن أن نطلق عليها " إسلام ملكة سبأ " نرى هيمنة الخطاب المعروض ، يتخلله المسرود قليلا ؛ يوجه المعروض ويملأ الفراغات التى تنتج عنه ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فقال ....َ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ ... أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ(٢٥)اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ(٢٦)فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ ..... فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَال .....َ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيل ...... وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِين .... فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ ..... ﴾ إننا هنا نجد اعتمادا كبيرا على أقوال

الأشخاص ، ونجد حذفا كثيرا للأحداث ، ربما اكتفاء بالأقوال ، يظهر هذا جليا فى فصل الزمن حيث القفزات الكبيرة التى نراها فى سرد القصص ، وههنا نجد محذوفات كثيرة تدل عليها القرائن ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ(٢٨)قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ(٢٩) .... وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ(٣٥)فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ .... ﴾.

٤ ـ موت سليمان :

تأتى هذه الوحدة فى صيغة الخطاب المسرود الذى يوجز أحداثا كثيرة : موته ، واتكاؤه على منسأته ، وأكل الأرضة لها ، وخروره ، ولبث الجن مع ذلك فى العذاب المهين ، ثم معرفتهم بموته ، وندمهم على لبثهم فى العذاب لجهلهم بموته .... ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ(١٤) ﴾.

ـ قصة ابنى آدم :

نبدأ الوحدة مع المسرود وتقديم القربان : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ ومن ثم تأتى وحدة التهديد بالقتل فى صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧)لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(٢٨)إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(٢٩) ﴾ ثم تأتى وحدة القتل فى صيغة المسرود ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٣٠) ﴾ بعد ذلك يأتى بعث الغراب ، والندم فى صيغة المسرود تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ

غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(٣١) ﴾ .

ـ قصة ذى القرنين :

تبدأ القصة بصيغة المسرود ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(٨٣)إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا(٨٤)فَأَتْبَعَ سَبَبًا(٨٥)حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا(٨٦) ﴾ الكهف . تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا(٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا(٨٨) ﴾ ﴿ قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا(٩٤)قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا(٩٥)ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا(٩٦)فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا(٩٧)قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا(٩٨) ﴾ .

ـ عيسى ابن مريم :

١ـ ميلاد مريم (مريم فى كفالة زكريا) :

تهيمن ههنا صيغة المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٥)فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(٣٦) ﴾ وتستمر هيمنة العرض على الوحدة ، يتخلله المسرود .

٢ ـ ميلاد المسيح :

نبدأ الوحدة مع الخطاب المسرود ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا(١٦)فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا(١٧) ﴾ ومن ثم يتحول الخطاب إلى صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا(١٨)قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا(١٩)قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا(٢٠)قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا(٢١) ﴾ ثم مسرود ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا(٢٢)فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ وتختتم الوحدة بالمنقول المباشر ﴿ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا(٢٣)فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا(٢٤)وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا(٢٥)فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا(٢٦) ﴾ .

وفى آل عمران تأتى الوحدة كلها بصيغة المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(٤٥)وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَمِنَ الصَّالِحِينَ(٤٦)قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(٤٧)وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ(٤٨) وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ

نَائِمُونَ(١٩)فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠)فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(٢١) ﴾ ثم تأتى صيغة المنقول المباشر ، يتخللها المسرود ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ(٢٢)فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣)أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤)وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥)فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ(٢٨)قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩)فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ(٣٠)قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١)عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) ﴾ وتختتم القصة بالمسرود الذى ابتدأت به ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣) ﴾ .

- قصة أصحاب الكهف :

تبدأ القصة بالمسرود ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا(٩)إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(١٠)فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا(١١)ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا(١٢)نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ﴾ يتخللها المنقول المباشر ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا(١٤)هَؤُلاءِ قَوْمُنَا ﴾ ...... (١٦) وبعد ذلك يسير الخطاب بصيغة المسرود ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا(١٧)وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا(١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ ثم يتحول إلى المنقول المباشر

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا(١٩)إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا(٢٠) ﴾ ثم يعود المسرود من جديد ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ ثم المنقول المباشر ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا(٢١)سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُم ﴾ وتختتم بصيغة المسرود ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا(٢٢)وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا(٢٣)إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا(٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا(٢٥)قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا(٢٦) ﴾ .

نلاحظ سيطرة المسرود على القصة يتخلله المنقول المباشر ؛ وبذلك يظهر القائل وأفعاله (تدخلاته) فى سير القصة ، وكذلك تفرده بعلم تفاصيلها .

ـ قصة صاحب الجنتين :

نبدأ مع المسرود ، وخطاب الحق تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا(٣٢)كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا(٣٣)وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ثم بصيغة المنقول المباشر نستمع إلى الحوار بين الصاحبين ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا(٣٤) ﴾ - (٤١) يتخلله ـ للمرة الأولى ـ صيغة الخطاب

المعروض الذاتى ، حيث يتحدث صاحب الجنتين إلى نفسه ﴿ وَدَخَلَ جنتهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا(٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا(٣٦) ﴾ وتختتم القصة بصيغة المسرود ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا(٤٢)وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا(٤٣) ﴾ .

خصائص الصيغة السردية فى القرآن الكريم :

دراستنا للصيغة السردية ، تنتج عنها بعض الملاحظات : تتجلى فى القصص القرآنى من صيغ الخطاب : صيغة المنقول المباشر ، التى تهيمن على الحكى ، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول الوارد ، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة فى القصص ؛ ففى قصص آدم عليه السلام ، تأتى الوحدة السردية الأولى ، وهى إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم - دائما - فى صيغة الخطاب المنقول المباشر ، التى تحمل إلينا حوار الله والملائكة فى هذا الشأن ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ(٣٠) ﴾ ودائما يأتى الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب ، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ فى سور : ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة (٣٠) . يلى هذه الوحدة الوحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التى تأتى بالصيغة نفسها ، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة ، ودائما بالصيغة الواحدة التى لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ ﴾ فى سور : طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة بالصيغة ذاتها ، لتعرض لطاعة الملائكة ، واستكبار إبليس ، وامتناعه عن السجود ، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله ، الذى يأتى فى صيغة

المنقول المباشر ؛ لأهميته الشديدة ، لا فى قصة آدم فحسب ، وإنما ، كما قلنا من قبل ، فى قصة الحياة بصفة عامة .

وفى قصص الأنبياء ، نجد دائما وظيفتى الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة (المنقول المباشر) بعد أن يتم التحضير لهما بصيغة الخطاب المسرود . ففى الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٨٥) الصيغة دائما واحدة ، والدعوة أيضا واحدة . وهذا أيضا ما نجده فى سورة هود ، وفى سورة الشعراء ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٠٦)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٠٧) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ(١٢٣)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٢٤)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٢٥) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ(١٤١)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٤٢)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٤٣) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ(١٦٠)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٦١)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٦٢) ﴾ ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ(١٧٦)إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٧٧)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٧٨) ﴾ هذا الاتحاد فى الصيغة الكلية للدعوة ، بل فى كلمات الدعوة ، يجعلنا وكأننا أمام نبى واحد ، ورسالة واحدة ؛ وإنها لكذلك ؛ وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨) ﴾ البقرة - يتردد ما دامت السماوات والأرض ، وما زال الهدى يأتى من الله ، فمن تبعه نجا وسلم .

٣ ـ الرؤية السردية

في تعريفنا للسرد ، قلنا : إنه الطريقة التي تُروى بها قصة ما ، وهذه الطريقة في الرواية يمكن أن تأخذ أشكالا متعددة لا حصر لها ، تبعا لموقع الراوي من الأحداث ، أو لعلاقته بها ، أو بالمروي له ؛ وذلك لأن كل عمل حكائي يستلزم بالضرورة ثلاثة عناصر أساسية ، هي : الراوي ، والمروي له ، والمروي . وموضوع الرؤية السردية يقوم أساسا على وضع الراوي في الحكي ؛ على موقعه الذي يتخذه حيال مايحكي ، وموقفه من هذا المحكي .

منذ أفلاطون وتفريقه بين طريقتي نقل الكلام (الحكاية الخالصة والمحاكاة) ومن بعده أرسطو ـ الذي أثنى على هوميروس ، ورأى فيه شاعرا فحلا ؛ لأنه جعل محاكياته في شعره ذات طابع درامي ، لا يتدخل الشاعر في أحداثها إلا قليلا تاركا العرض للشخصيات ؛ فتأتي الوقائع حية [١] ـ بدأت الدعوة إلى مسرحة الحدث لا سرده .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، تعود الدعوة إلى مسرحة الحدث للظهور من جديد ، على يد الروائي هنري جيمس ، في محاولة للتجديد بمخالفة العرف الروائي السائد ، الذي يعتمد على الراوي كلي المعرفة [٢]. ويسير بيرسي لوبوك على نهجه في كتابه " صنعة الرواية " الذي يفتح به باب دراسة الرؤية السردية بتمييزه ـ الذي سبقت الإشارة إليه ـ بين العرض Showing و الإخبار Telling حيث في الأولى تقوم القصة بحكاية نفسها بنفسها ، وفي الثانية يقوم بالإخبار راو عالم بكل شيء . وينحاز لوبوك إلى جانب الراوي الممسرح ، المدمج في القصة .

---

(١) انظر : محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص:٥٠

(٢) انظر روجر هينكل ، قراءة الرواية ، ترجمة صلاح رزق ، القاهرة ، ط١ ١٩٩٥ ، ص: ٢١١

وعند " توماتشفسكى " نجد التمييز بين النمطين السرديين : السرد الموضوعى ، والسرد الذاتى ؛ حيث فى الأولى يكون الكاتب مطلعا على كل شىء ، حتى الأفكار السرية للشخصيات ، أما فى السرد الذاتى فإننا نتتبع الحكى من خلال عينى الراوى ، متوفرين على تفسير لكل خبر : متى وكيف عرفه الراوى أو المستمع نفسه (٣) .

بعد ذلك يأتى Jean Pouillon ليقدم أول دراسة منهجية بهذا الصدد ، فى كتابه المهم " الزمن والرواية " ١٩٤٦ الذى يحدد فيه ثلاثة أنماط من الرؤية : الرؤية مع ، والرؤية من الخلف ، والرؤية من الخارج (٤) ، منطلقا فى ذلك من علم النفس وثيق العلاقة بالرواية ؛ إذ يُعنى كلاهما بكشف النفس البشرية فى حالاتها المختلفة .

ويتبنى Todorov تصنيف بويون للرؤيات و يسميها " مظاهر السرد " فيضعها إلى جانب زمن السرد ، وأنماطه معتبرا إياها أصول تحليل الخطاب السردى . و يهتم بتوضيح معنى كلمة مظهر Aspect وأنه يستعملها بمعنى قريب من معناها الاشتقاقى وهو " الرؤية " أو " النظرة " وبكيفية أكثر تحديدا يقول : إن المظهر يعكس العلاقة بين ضمير الغائب (هو) فى القصة ، وبين ضمير المتكلم (أنا) فى الخطاب ؛ أى العلاقة بين الشخصية الروائية وبين السارد . ويستخدم Todorov عبارة " مظاهر السرد " ليحيل بها على مختلف أنواع الإدراكات التى يمكن التعرف عليها داخل السرد ؛ فنحن عندما نقرأ عملا أدبيا ، لا نتلقى الأحداث التى يصفها تلقيا مباشرا ؛ لأننا فى الوقت ذاته ندرك - بشكل

---

(٣) الشكلانيون الروس : نظرية المنهج الشكلى . ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ١٩٨٢ ، ص : ٨٢

(٤) Jean Pouillon, Temps et roman, Paris, Ed. Gallimard, 1993, P. 66 – 105

أو بآخر - الآثار الوجدانية المصاحبة لها لدى الذى يحكيها (٥) ؛ وهذا الإدراك الداخلى يتخذ أشكالا ثلاثة ، هى التى اقترحها Jean Pouillon تصنيفا لمظاهر السرد :

أ - السارد > الشخصية الروائية (الرؤية من الخلف : La vision par derrière)
وفى هذه الحالة يكون السارد أكثر معرفة من الشخصية الروائية ، وهو لايعنى بأن يشرح لنا كيفية اكتسابه هذه المعرفة ، فليس ثم ستار يحجب عنه سر شىء : فهو يخترق الجدران ، ويرى ما يدور برأس بطله ... وهذا الشكل هو المستعمل فى السرد الكلاسيكى فى أغلب الأحوال . ولهذا الشكل درجات متفاوتة ؛ فقد يتجلى تفوق السارد فى المعرفة بالرغبات السرية (المجهولة) لإحدى شخصياته ، وربما يتجلى فى معرفة أفكار عدة شخصيات فى وقت واحد - وهذا ما لا يستطيعه أى منها - أو ربما يتجلى ببساطة فى سرد أحداث لا تدركها شخصية واحدة بمفردها .

ب - السارد = الشخصية الروائية (الرؤية مع : La vision avec) وهذا الشكل منتشر فى الأدب ، وبخاصة الأدب الحديث ، وفيه يتساوى السارد والشخصية الروائية فى المعرفة ؛ فهولا يستطيع أن يقدم لنا تفسيراً للأحداث قبل أن تتوصل إليه الشخصية ، وهنا أيضا يمكننا الكشف عن كثير من التمييزات ، كأن يتم السرد بضمير المتكلم ، أو بضمير الغائب مع الاحتفاظ دائما بالرؤية التى تكونها الشخصية نفسها عن الأحداث .

جـ - السارد < الشخصية الروائية (الرؤية من الخارج : La vision du dehors)
والراوى هنا يعرف أقل مما تعرف أى من شخصيات الرواية ، إنه يستطيع أن يصف لنا ما يمكن أن يرى ، أو أن يسمع ، لكنه لا ينفذ إلى إلى أى ضمير كان . وبدهىأن هذه النزعة

---

(٥) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire, Communications n° 8, éd . du Seuil, coll. Points, 1981, P. 147

الحسية الخالصة موجودة كمظهر من مظاهر الكتابة ، وهى أقل بكثير من المظهرين الآخرين ، والاستعمال المنظم لهذا المظهر لم يتم إلا فى القرن العشرين .

أما Genette فهو يتحدث عن المنظور ضمن الصيغة السردية ، وكأنه ليس مظهرا مستقلا من مظاهر السرد ، كما رأينا عند Todorov مثلا ، بل يتحدث عنه إلى جانب المسافة باعتبارهما الشكلين الأساسيين للصيغة ، مما أوقعه فى بعض المآخذ (٦) ؛ ومع ذلك فقد قدم لنا مشروعا جديدا لدراسة المنظور . حيث بدأ بقراءة كتابات السابقين حول ما يسمى ، على سبيل الاستعارة ، منظور سردى . فرأى أن معظم الأعمال النظرية التى تتناول هذا الموضوع تعانى - كما يقول - من خلط شديد بين الصيغة والصوت ؛ أى بين السؤال : من الشخصية التى توجه " وجهة نظرها " المنظور السردى ؟ أى من يرى ؟ والسؤال : من يتكلم ؟ ومن ثم يتبنى مصطلح " تبئير : Focalisation " حيث يرى أنه أكثر تجريدا ، وبذلك يتحاشى المضمون البصرى ، شديد الخصوصية ، الذى تنطوى عليه المصطلحات الأخرى مثل : رؤية ، وحقل ، ووجهة نظر (٧) .

وهكذا يطلق على النمط الأول - الذى تمثله الحكاية الكلاسيكية - اسما جديدا هو الحكاية غير المبأرة non-focalisé أو ذات التبئير الصفر focalisation zéro . والنمط الثانى الحكاية ذات التبئير الداخلى interne سواء أكان ثابتا - كما فى رواية السفراء ؛ حيث يمر كل شىء من خلال ستريذر - أم متغيرا كما فى رواية " مدام بوفارى " حيث يتم التبئير من خلال شارل ، ثم إمّا ، وبعدها شارل من جديد ... أم متعددا كما فى الروايات التراسلية (Les romans par lettres) حيث يمكن للحدث الواحد أن يقدم مرات كثيرة ،

---

(٦) ربما كان اعتماده على قاموس Littré حيث يحدد المعنى النحوى لمادة mode بأنه " اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة ... وللتعبير عن وجهات النظر المتغايرة " هو الذى قاده إلى ما ذهب إليه ، إذ إن تعريف الصيغة فيه ، كما نرى ، يضم أشكال الفعل ، ووجهات النظر ؛ فتحدث عن المظهرين معا ، جامعا بينهما فى مبحث واحد .

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972,P. 203

من خلال وجهة نظر عدة شخصيات متراسلة . وأخيرا النمط الثالث ، هو الحكاية ذات التبئير الخارجى externe التى يتصرف فيها البطل أمامنا دون أن يسمح لنا بمعرفة أفكاره أو عواطفه (٨) .

وتستمر دراسة الرؤية السردية ، فى هذا الفلك ، متراوحة بين تصور Pouillon وتصور Genette (٩) أو بين الرؤيات والتبئير .

ونحن من جانبنا نحاول - مستضيئين بـ Genette وحديثه حول التبئير ، وبشكل أساسى بـ Jean Pouillon وتصنيفه للرؤية السردية ، الذى تبناه Todorov وحاول تطبيقه على رواية العلاقات الخطيرة Les liaisons dangereuses لـ "لاكلو" - نحاول وضع تصور يتناسب مع القصة القرآنية ، فى وضعها القداسى .

ولعل الحديث عن الرؤية يعيدنا إلى ما رأينا من تعدد الصيغ للحكاية الواحدة ؛ تبعا لاختلاف السياق الذى وردت فيه ؛ ففى قصص آدم عليه السلام ، هناك قصة واحدة ، غير أنها تأخذ فى كل مرة شكلاً جديدا يجعلها تبدو حكاية جديدة ، وإن اتفقت أحداثها وشخصياتها ؛ والسبب هو اختلاف السياق ، الذى يغير موقع الرؤية ؛ فمن موقع يتم التركيز على قضية الخلافة ؛ لأن القصة معروضة فى سياق يجعل من الإنسان سيد الأرض ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ البقرة (٢٩) فليتصرف فيها كيف شاء بما لا يحيد به عن طريق هدى الله ؛ ومن هذا الموقع الذى يمثله السياق تُرى القصة من هذه الناحية ، ناحية الاستخلاف .

---

(٨) Ibid. P. 206 - 207

(٩) ممن سنلتقى بهم بعد Genette : Mieke Bal فى مقالها : Narration et focalisation المنشور فى العدد التاسع والعشرين من مجلة Poétique ١٩٧٧ (١٠٧ - ١٢٧) والذى تقدم فيه قراءة لتصور Genette السابق ، ومقال آخر بعنوان Le jeu de la focalisation لـ Pierre Vitoux نشر بالمجلة نفسها تعليقا على مقال Mieke Ba السابق ، وهذا تماما ما فعله كل من : شلوميت كنعان فى كتابها التخييل القصصى ، ترجمة لحسن أحمامة ١٩٩٥ و Vincent Jouve فى كتابه La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999.

ومن موقع ثان ، نرى القصة هى قصة العداوة بين إبليس وآدم ؛ للتركيز على إبراز هذا الجانب ؛ فهى معروضة فى سياق الموقف من هدى الله - فى سورة الأعراف - : حيث تتوالى رسل الله حاملة للناس الهدى ؛ لكنهم يأنفون ، ويتعقبون خطى الشيطان ، مؤثرين اتباعه - وهو عدوهم الأول - على اتباع الهدى .

ومن موقع ثالث ، يتم التركيز على الفوارق بين طبائع كل من الإنسان والجان : الأول مخلوق من طين ، وفيه نفخة من روح الله ، والثانى مخلوق من النار ......

وهكذا يستمر تأثير السياق فى القصة التى يستحضرها ، على نحو مارأينا فى فصل " القصة والسرد " وهذا السياق ، فيما نحن بصدده ، يمثل زاوية نرى منها جزءا من القصة يتم التركيز عليه ، ويتغير هذا الجزء بتغير زاوية الرؤية ، التى يمثلها السياق . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الموقع ، يتحدد بالضمير الذى تقدم القصة من خلاله ؛ هل هو متكلم : حاضر فيها ، أو غائب عنها (١٠) .

ومن خلال استقراء أشكال الرؤية فى القصص القرآنى ؛ أمكننا ملاحظة نمطين أساسيين للرؤية فى القصة القرآنية :

---

(١٠) وهذا بدوره يضعنا أمام قضية الالتفات فى العربية ، وشرطه أن يكون الضمير فى المنتقل إليه عائدا فى الأمر نفسه إلى الملتفت عنه ، ومعلوم أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات ، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدهما إلى الآخر ، بعد التعبير بالأول . راجع : **كتاب الصناعتين** لأبى هلال العسكرى ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ومحمد أبى الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٨٦ ، ص: ٣٩٢ . و**المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر** ، لابن الأثير ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص: ١٦٧ ومابعدها . و**منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، لحازم القرطاجنى ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، ط٢ ١٩٨١ ، ص: ٢٠٠ ، ٣٤٨ . و**البرهان فى علوم القرآن** ، للزركشى ، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة ، ط٢، ١٩٥٧ ، جـ٣/ ٣١٤ ومابعدها . و **البلاغة العربية قراءة أخرى** لمحمد عبد المطلب ، لونجمان ط١ ، ١٩٩٧ ص: ٣٩٢

أولهما ـ نطلق عليه الرؤية الذاتية ([11]) ، بمعنى أن يكون الضمير الذى يتكفل بحكى القصة حاضرا فيها (ضمير الجماعة الدال على العظمة) كما فى قصص آدم عليه السلام من سورة الأعراف ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ (١١) وفى قصص سليمان من سورة ص ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾ (٣٠) .

والآخر ـ نطلق عليه الرؤية المحايدة ، وفيه تقوم القصة بحكى نفسها ، عن طريق الحوار بين شخصيات السرد . وتبدأ بفعل القول (قال) بضمير الغائب ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ (٣٠) البقرة ، والحجر (٢٨) ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ ﴾ (٤٢) آل عمران ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾ (٦٠) الكهف .

وأمكننا كذلك ملاحظة نمطين فرعيين ، يأتيان تنويعا على النمطين السابقين :

الأول ـ هو الرؤية الذاتية المحايدة ، وتكون مسبوقة بفعل القول ملحقا بنا الفاعلين ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ (٣٤) البقرة ، والإسراء (٦١) والكهف (٥٠) وطه (١١٦) ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ (٣٨) البقرة ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا ﴾ (٤٠) هود ﴿ قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا(٨٦) ﴾ الكهف ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى(٦٨) ﴾ طه ؛ إذ يبدو فيها المتكلم على مسافة مما ينقل من أقوال .

والآخر ـ الرؤية المحايدة الذاتية ، وتأتى مع نقل محتوى القول ، وذلك غالبا ما يُسبق بما فى معنى فعل القول ، كما فى قصص موسى عليه السلام من سورة الأعراف ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(١١٧) ﴾ ومن سورة القصص

---

(١١) استعملنا كلمة (الذاتية) هنا لابمعنى (الانطباعية) وإنما بمعنى حضور الضمير الفاعل فى الحكى .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧) ﴾ وفى قصة يوسف ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٥) ﴾ .

ومن ناحية أخرى ؛ فإذا كان المتكلم حاضرا فى القصة ، فهى تُروى من الداخل بمنظور داخلى ، وإذا لم يكن حاضرا فيها ، وقامت بينه وبينها مسافة ، فهى تُروى من الخارج ، والمنظور هنا يحتمل الوجهين معا ؛ فهو خارجى إذا ظلت المسافة قائمة بين المتكلم وما يحكى ، أو أنه داخلى إذا قامت بالحكى شخصيات السرد .

- قصص آدم عليه السلام :

١ - فى سورة ص :

تهيمن على الحكى هنا الرؤية المحايدة ، حيث ينقل المولى عز وجل قصة اختصام الملإ الأعلى ، إلى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام إثباتا للوحى ، الذى لولاه ما علم محمد من أمرها شيئا ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ(٧١)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٧٢)فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٧٣)إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٧٤) قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ(٧٥)قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(٧٦)قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(٧٧)وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(٧٨)قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٧٩)قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ(٨٠)إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(٨١)قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٨٢)إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ(٨٤)لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ(٨٥

) ﴿ ونلاحظ هنا استخدام ضمير الغائب ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ مع أن الله تعالى يخاطب نبيه خطابا مباشرا ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ(٦٧)أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ(٦٨)مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ(٦٩)إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ(٧٠) ﴾ وهذا الاستخدام لضمير الغائب نجده دائما مع قصة الخلق الأول ، كما فى سورة الحجر ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٨) ﴾ وسورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ(٣٠) ﴾ وكأنه سبحانه وتعالى يشير فى هذه الأماكن إلى أن محمدا ذو مكانة خاصة ، من خلال إضافة رب إلى كاف الخطاب فى (ربك) ؛ فالله سيخلق بشرا من طين ، أو من صلصال من حمإ مسنون ، قد يفسد فى الأرض ويسفك الدماء ، لكن لمحمد فى كل ذلك مكان خاص ، هو مربوب الخالق سبحانه ؛ ومن خلال تلك الرؤية المحايدة يتم نقل أصوات شخصيات السرد ، فى حيادية تمنح الثقة فى مصداقية الوحى ، بخاصة وأنها نزلت على كفار مكة ، إثباتا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومع الرؤية المحايدة ، كما نرى ، يكون الموقع الذى تُحكى منه القصة موقعا خارجيا ، ولكن الصوت الذى تُعرض الأحداث من خلاله ، هو صوت شخصيات الحكى ، فالمنظور السردى داخلى ، هو منظور الشخصيات ؛ ومن ثم يجتمع الموقع الخارجى ، والمنظور الداخلى لتتكشف الأحداث من الخارج ، ومن الداخل .

٢ ـ فى سورة الأعراف :

ههنا نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، حيث تعرض الذات الإلهية لما كان من أحداث الخلق والتصوير ، ثم سجود الملائكة لآدم ، طاعة لأمر ربهم ، وامتناع إبليس عن ذلك استكبارا ، ويتم الحكى بضمير العظمة : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ(١١) ﴾ ودائما يأتى الأمر بالسجود لآدم محكيا بالضمير نفسه ، الجمع الدال على العظمة المستحقة لله تعالى ، نرى هذا فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٣٤) ﴾ وفى سورة الإسراء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(٦١) ﴾ وفى سورة الكهف ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ .... (٥٠) وفى سورة طه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى(١١٦) ﴾ وهى كل المواضع فى القرآن الكريم ، فيها يأمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم ، وهو أمر عظيم ، يحتاج إلى أن يُقرن بما يدل على عظمته سبحانه ، فكان ضمير الجماعة . وههنا نرى الاتصال المباشر للضمير بالفعل ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ ﴿ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ﴿ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا ﴾ مؤشرا على ذاتية الرؤية ؛ وجوانية المنظور والموقع .

ومن ثم نتحول إلى الرؤية المحايدة ، مع نقل نص الحوار بين الشخصيات فى القصة ، التى تسهم فى إضاءة جانب مهم فى القصة ، هو جانب العداوة بين إبليس وآدم ، وتسهم أيضا فى الكشف عن جوانب فى شخصية إبليس : الاستكبار ، والعصيان ، وفى شخصية آدم : الضعف ، وقلة العزيمة : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(١٢)قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ(١٣)قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤)قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ(١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ(١٦)ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(١٧)قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ(١٨)وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ

الْخَالِدِينَ(٢٠)وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(٢١)فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ(٢٢) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٢٣)قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤)قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ(٢٥) ﴾

ثم تعود الرؤية الذاتية مرة أخرى ؛ تؤطر الحكى ، وتركز من جديد على عداوة إبليس لآدم وذريته : ﴿ يَابَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(٢٦) يَابَنِي ءَادَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ(٢٧) ﴾

٣ ـ فى سورة طه :

يتم الحكى هنا من خلال الرؤية الذاتية ، وضمير الجماعة الذى يعرض ما كان من نسيان آدم عهد الله إليه ، بمخالفة إبليس : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥) ﴾ وبالضمير نفسه نتحول إلى الرؤية الذاتية المحايدة ؛ حيث يقوم المولى عز وجل بنقل خطابه للملائكة ، ثم لآدم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى(١١٦)فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى(١١٧)إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى(١١٨)وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى(١١٩)فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى(١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾

ثم نتحول إلى الرؤية المحايدة ، مع الانتقال من التكلم إلى الغيبة ، إشعارا بخصوصية العلاقة بين آدم وربه ـ على نحو ما مر مع محمد عليه الصلاة والسلام ـ وعرضا لتجدد

العداوة الدائم ، بين آدم وإبليس : ﴿ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(١٢١)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى(١٢٢)قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى(١٢٣) ﴾ .

٤ ـ فى سورة الإسراء :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية المحايدة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا(٦١) ﴾ ومن ثم تأخذ الرؤية فى التحول من الذاتية المحايدة إلى المحايدة ، مع الخطاب المنقول المباشر : وحوار شخصيات القص ، الذى يلقى الضوء على مشاعر الشيطان تجاه ذرية آدم ، وسبيله لإطفاء مشاعر الحقد المتقدة فى صدره : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلا(٦٢)قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا(٦٣)وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا(٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا(٦٥) ﴾ وفى الآية الأخيرة نجد قوله تعالى ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا ﴾ الذى لا يتعارض مع ما قلناه من قبل عن قرب المربوب من ربه ، ويشير الألوسى إلى هذا بقوله " والقلب يميل إلى عدم كونه خطابا للشيطان وإن كان فى السابق له " ([12]) .

ـ فى سورة الحجر :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، وضمير العظمة الذى يناسب السياق ، حيث الإخبار عن الخلق ، الذى لا يقدر عليه غير القادر سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٦)وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(٢٧) ﴾ وتبدأ من ثم أصوات

---

(١٢) روح المعانى ، دار الفكر : ١٥/ ١١٣

الشخصيات فى الظهور ، منظمة من خلال الرؤية المحايدة ، تركيزا على سبب رفض إبليس السجود لآدم ، وعداوته له ، غير أنه لاسلطان له إلا على الضالين الغاوين ، أما عباد الله المخلصين ، فهم بمنأى عن غوايته ، وفى حفظ الله وكنفه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٢٨)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ(٢٩)فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ(٣٠)إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(٣١)قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ(٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ(٣٣)قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(٣٤)وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(٣٥)قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٣٦)قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ(٣٧)إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(٣٨)قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(٣٩)إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٤٠)قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ(٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ(٤٢)وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ(٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ(٤٤) ﴾ .

ثم تعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكى ، وتؤكد على عظم جزاء أعداء الشيطان ـ عباد الله المخلصين : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٤٥)ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ(٤٦)وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ(٤٧)لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ(٤٨) ﴾ .

ـ فى سورةالبقرة :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل حوار الله والملائكة ، الذى يتم التركيز فيه على الخليفة المنتظر للأرض ، وإعداده من قبل الخالق عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ(٣٠)وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(٣١)قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٣٢)قَالَ يَاآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(٣٣) ﴾

ثم تحل الرؤية الذاتية المحايدة محل الرؤية المحايدة ، مع الأمر بالسجود ، والهبوط إلى الأرض : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٣٤)وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٣٦)فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧)قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨)وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٣٩) ﴾ تتخللها الرؤية المحايدة فى لمحة سريعة ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧) ﴾ تلقى الضوء على علاقة القرب بين آدم وربه . وهنا نجد المنظور السردى خارجيا ذا عمق داخلى ، حيث إن الحكى يتم من مسافة يرجحها وجود فعل القول ، والذى ينقل القول هو قائله سبحانه وتعالى .

- قصص نوح عليه السلام :

١ ـ فى سورة القمر :

من خلال الرؤية الذاتية يتم سرد القصة ، تركيزا على إظهار العذاب الذى وقع بقوم نوح جزاء تكذيبهم ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩)فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ(١٠)فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(١١)وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢)وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ(١٣)تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ(١٤) ﴾ ونحن هنا أمام انتصار القدرة المطلقة للحق الذى جاء به نوح ، وكذب به قومه حتى النهاية ؛ وإننا مع بدايات الدعوة المحمدية ، ومن ثم مع التحذير من الإسراع بتكذيب صاحب الدعوة .

٢ ـ فى سورة الأعراف :

مع الرؤية الذاتية نفتتح الحكى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ ومن ثم نتحول عنها إلى الرؤية المحايدة ، حيث نستمع إلى أصوات الشخصيات فى حوارهم ، فتُعرض وظيفة الدعوة من منظور داخلى تتقابل فيه المشاعر والأفكار ، بين نوح الذى يؤدى ما أُرسل به هدى من ربه ، إلى قومه الذين تحجرت عقولهم وقلوبهم أن يؤمنوا بما جاءهم به نبيهم ﴿ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٥٩)قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ(٦٠)قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٦١)أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ(٦٢)أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٦٣) ﴾ .

ثم نختتم الحكى مرة أخرى مع الرؤية الذاتية التى تؤطر الحكاية ، بداية ونهاية ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ(٦٤) ﴾ تلك الرؤية التى يوجهها ضمير العظمة ، الذى يتكفل دائما بأفعال القدرة المتصرفة .

٣ ـ فى سورة الشعراء :

نفتتح الحكى مع الرؤية المحايدة ، وأصوات شخصيات السرد ، التى يُعرض من خلالها تكذيب قوم نوح واستكبارهم ، مع حرصه الشديد على إيمانهم برسالته ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٠٦)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٠٧)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٠٨)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١١٠)قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ(١١١)قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١١٢)إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ(١١٣)وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ(١١٤)إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ(١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَانُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ(١١٦)قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ(١١٧)فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(١١٨) ﴾ .

ومن ثم تختم القصة مع الرؤية الذاتية ، التى تتكفل دائما بالأحداث العظيمة ، كحدث الإهلاك والنجاة هنا ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(١١٩)ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ(١٢٠)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٢١)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(١٢٢) ﴾ .

٤ ـ فى سورة يونس :

منذ البداية ، وحتى نهاية الحكى ، نحن مع الرؤية الذاتية ، وقصة نبى من أنبياء الله ، عليهم السلام ، وما كان من قومه تجاهه ، والرؤية الذاتية هنا لأمر عظيم كذلك ؛ فالأمر إلى محمد عليه الصلاة والسلام أن يخبر قومه ، الشاكين فى القرآن ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٢) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ (٣٨) ـ أن يخبرهم خبر نوح مع قومه ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ

أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ(٧١)فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٧٢)فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ إن قوم نوح كقوم محمد ، كلاهما مكذب بالنذير ومستعجل للعذاب ، ولكن أمر الإنذار جد ، وعاقبة المنذرين المكذبين رهيبة .

٥ - فى سورة هود :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، وبضمير العظمة يقص الله تعالى على محمد عليه الصلاة والسلام حكاية نوح مع قومه ، وتفصيل دعوته لهم ، ورفقه بهم ؛ لعلهم يهتدون : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ(٢٥)أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ(٢٦) ﴾ .... ثم يعود إلى محمد عليه الصلاة والسلام مرة أخرى ، ثم يتم عليه بقية الحكاية : اليأس من إيمان القوم ، وصنع الفلك ، وانتظار أمر الله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ(٣٥) وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(٣٦)وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ(٣٧) ...... (٤٨) ﴾ .

- نجد فى بداية السورة : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(١٢) ﴾

- ونجد فى ختامها : ﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ(١٢٠) ﴾ ومن هنا فقد جاء قصص السورة تثبيتا لفؤاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لئلا يسرع الضيق ، من عدم إيمان قومه به ، وبرسالته ، إلى صدره ؛ فهكذا كان حال الأنبياء من قبل مع أقوامهم . وإن قوم محمد ، كقوم نوح ، فى المسارعة إلى إيذاء نبيهم ؛ وإن الصبر عليهم لهو سبيل النصر .

٦ - فى سورة نوح :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، التى تتحول إلى رؤية محايدة مع نقل خطاب الشخصية الموجودة فى القصة ، نوح ، وما كان بينه وبين قومه بكل تفاصيل الدعوة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١)قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ(٢)أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ(٣)يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٤)قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا(٥)فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا(٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا(٧) ...... (٢٨) إنها عرض لموقف قوم نوح من نبيهم ودعوته ، وهى تحذير لأمة محمد ان يكونوا مثل قوم نوح فيأخذهم عذاب عظيم .

- قصص هود عليه السلام :

١ ـ فى سورة القمر :

يتم الحكى من خلال الرؤية الذاتية ، تركيزا على العذاب الذى حاق بمن كذبوا دعوة هود عليه السلام ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(١٨)إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(١٩)تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠)فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(٢١)وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(٢٢) ﴾ .

٢ ـ فى سورة الأعراف :

من خلال الرؤية المحايدة حيث يتم نقل أصوات شخصيات السرد ، يتم حكى القصة بكاملها ، وتؤطرها الرؤية الذاتية ، بداية ونهاية ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ وهو الصوت

الذى تصدر قصص سورة الأعراف ، بدءاً بنبى الله نوح عليه السلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ(٥٩) ﴾ وبعد ذلك تتولى أصوات الشخصيات عرض الأحداث ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ(٦٥)قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ(٦٦) ﴾ ... وتأتى النهاية مع الرؤية الذاتية ، التى تنفرد دائما بوظيفة النجاة ، والإهلاك ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ(٧٢) ﴾ .

٤ ـ فى سورة الشعراء :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، وعرض تفاصيل الدعوة ، من خلال الشخصيات ، مع التركيز على إظهار حرص الرسول على هداية قومه ، متقربا إليهم بكل ما يمكن أن يلين قلوبهم ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ(١٢٣)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٢٤)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٢٥)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٢٦)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٢٧)أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ(١٢٨)وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ(١٢٩)وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ(١٣٠)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٣١)وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ(١٣٢)أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ(١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(١٣٤)إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٣٥) ﴾ بينما هم قساة غلاظ ، لا تتأثر قلوبهم ، ولا تلين ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ(١٣٦)إِنْ هَذَا إِلا خُلُقُ الأَوَّلِينَ(١٣٧)وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ(١٣٨) ﴾ ومن ثم كانت النتيجة ، المعروضة من خلال الرؤية الذاتية ؛ الإهلاك والنجاة ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٣٩) .

٥ ـ فى سورة هود :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، واستئناف عرض قصص الأنبياء مع أقوامهم ، على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ ومن ثم تعوضها الرؤية المحايدة طوال القصة ، لتُعرض الأحداث من الداخل بأصوات الشخصيات ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ(٥٠)يَاقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ(٥١)وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ(٥٢)قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ(٥٣) ..... (٥٧)﴾ ومن ثم تعود الرؤية الذاتية تؤطر الحكى ، وتشير إلى وقوع العذاب بقوم هود ، دون النص عليه ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ(٥٨) ﴾ .

٦ ـ فى سورة الأحقاف :

ههنا يتم تنظيم الحكى عن طريق الرؤية المحايدة الذاتية فى عرض دعوة هود قومه ، ثم تؤول إلى الرؤية المحايدة ، مع عرض ثباتهم على التكذيب ، ومن ثم تعود الرؤية المحايدة الذاتية من جديد تركيزا على تحديد العذاب الذى وقع بهم ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٢١)قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ(٢٣)فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ(٢٤)تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ(٢٥)وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(٢٦) ﴾ .

- قصص صالح عليه السلام :

١ ـ فى سورة الأعراف :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، التى تعوضها الرؤية المحايدة ، فيُترك الحديث لشخصيات السرد ، تعرض من خلال منظورها الداخلى ما كان من دعوة صالح قومه إلى عبادة الله وتذكر نعمه ، وما جاءهم به من آية بينة شاهدة على صدقه ، وما كان من تكذيب منهم أدى إلى معاقبتهم وإهلاكهم ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٧٣)وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ(٧٤) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ(٧٥)قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ(٧٦)فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧٧)فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ(٧٩) ﴾ .

٢ ـ فى سورة الشعراء :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات السرد ، تركيزاً على تكذيب ثمود ، مع حرص صالح على أن يؤمنوا برسالته ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ(١٤١)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٤٢)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٤٣)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٤٤) ...... فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٥٨)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(

١٥٩) ﴾ ويلاحظ هنا أن الحكى مؤطر بالرؤية المحايدة ، ومكتف بقوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ عن وصف ما حاق بهم من ألوانه .

٣ ـ فى سورة النمل :

نفتتح الحكى مع الرؤية الذاتية ، وعرض حال ثمود ، وانقسامهم ، بعد أن أرسل إليهم صالحً ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ(٤٥) ﴾ ثم تعوضها الرؤية المحايدة ، فنستمع إلى أصوات الشخصيات فى الحكاية ، ونرى إلى أى مدى وصل العداء بينهم ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(٤٦)قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ(٤٧) ﴾ وتعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكى ، وتركز على إظهار قدرة الخالق المطلقة ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ(٤٨)قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(٤٩)وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(٥٠)فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ(٥١)فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٥٢)وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٣)﴾ .

٤ ـ فى سورة هود :

يؤطر الحكى بالرؤية الذاتية ، ومن خلال الرؤية المحايدة تعرض الأحداث ونسمع أصوات الشخصيات ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ(٦١)قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ(٦٢) ..... (٦٨) ﴾

- قصص لوط عليه السلام :

١ ـ فى سورة القمر :

من خلال الرؤية الذاتية ، يتم التركيز على ما حاق بقوم لوط من عذاب جزاء تكذيبهم ، وتماديهم فى غيهم ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ(٣٣)إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلا ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤)نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥)وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ(٣٦)وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٧)وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨)فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٩)وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ(٤٠) ﴾ .

٢ ـ فى سورة الأعراف :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ودعوة لوط قومه إلى أن يتركوا ما هم عليه من إسراف ، وهم من خلال منظور مقلوب يريدون الخلاص منه ومن آله ؛ لأنهم ، فيما يرون ، أنقياء منزهون عما يتردى فيه القوم من فاحشة ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ(٨٠)إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ(٨١)وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٨٢) ﴾ ومن ثم ، ومع الرؤية الذاتية ، تتكفل الذات الإلهية بإنجاء لوط وأهله ، وإهلاك قومه وامرأته ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ(٨٣)وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ(٨٤) ﴾ .

٣ ـ فى سورة الشعراء :

نفتتح الحكى مع الرؤية المحايدة ، وتركيز الحوار على تكذيب قوم لوط لرسولهم مع ما يبذله من جهد فى سبيل هدايتهم ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ(١٦٠)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ

ألا تَتَّقُونَ(١٦١)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٦٢)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٦٣)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦)أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ(١٦٥)وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ(١٦٦)قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ(١٦٧)قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ(١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ(١٦٩) ﴾ ومن خلال الرؤية الذاتية يأتى العذاب الواقع بهؤلاء المكذبين الضالين ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ(١٧٠)إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ(١٧١)ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ(١٧٢)وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ(١٧٣)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(١٧٤)وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ(١٧٥) ﴾ .

٤ ـ فى سورة هود :

نفتتح هذه الوحدة بالرؤية الذاتية المحايدة ، ونقل أصوات الشخصيات ، التى لا تعلن عن نفسها من أول الأمر، تركيزا على إظهار حال لوط عند مجىء الرسل إليه ، وضيقه بهم ، لمعرفته بأمر قومه ، وما سيكون منهم تجاه ضيفه ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ(٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ومن ثم تنفرد الرؤية الذاتية بعرض أحداث النهاية ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ(٨٢)مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ(٨٣) ﴾ .

٥ ـ فى سورة الحجر :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات الشخصيات ، التى تعلن عن نفسها من أول الأمر ، وعن قضاء الأمر بهلاك قوم لوط ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ(٦١)قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ(٦٢)قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ(٦٣)وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(٦٤

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ(٦٥)وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ(٦٦)وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ(٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ(٦٨)وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ(٦٩)قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ(٧٠)قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ(٧١) ﴾ ومن ثم تتحول الرؤية إلى الذاتية ليُعرض من خلالها ما نزل بقوم لوط من عذاب ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ(٧٢)فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ(٧٣)فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(٧٤)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ(٧٥)وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ(٧٦)إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ(٧٧) ﴾ .

- قصص شعيب عليه السلام :

١ ـ فى سورة الأعراف :

نفتتح الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات شخصيات السرد ، تركيزا على دعوة شعيب عليه السلام ، وتكذيب قومه ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(٨٥) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة حتى نهاية القصة (٩٣) .

٢ ـ فى سورة الشعراء :

يفتتح الحكى بالرؤية المحايدة ، تركيزا على تكذيب أصحاب الأيكة مع حرص شعيب على هدايتهم ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ(١٧٦)إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٧٧

)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٧٨)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ(١٧٩)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٨٠) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة كذلك حتى نهاية القصة (١٨٩) .

٣ ـ فى سورة هود :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، والله تعالى يقص على محمد عليه الصلاة والسلام قصص الأنبياء مع أقوامهم ؛ تثبيتا لقلبه ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ ومن هنا تبدأ الرؤية المحايدة ، مع نقل حوار الشخصيات ﴿ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ(٨٤) ﴾ وتستمر إلى أن تأتى الخاتمة مع الرؤية الذاتية ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩٤) ﴾ .

قصص موسى عليه السلام :

١ ـ فى سورة الأعراف :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، ومقدمة القصة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(١٠٣) ﴾ التى تعوضها الرؤية المحايدة ، مع نقل حوار موسى وفرعون ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ(١٠٥)قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ(١٠٦) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة ، مهيمنة ، مع عرض تكذيب فرعون وقومه ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ

فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ(١٠٩)يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(١١٠)قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(١١١)يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ(١١٢) ﴾ ...... (١٢٧) تتخللها الرؤية الذاتية ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(١١٧) ﴾ لعرض الأحداث المعجزة ، التى لا يقدر عليها إلا الله . ومن ثم تعود الرؤية المحايدة ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(١٢٨) ﴾ وتتجدد الرؤية الذاتية مع تجدد الأحداث التى تتطلب قوة متصرفة ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(١٣٠) ﴾ ..... ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ(١٣٦)وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ وبدءا من هنا تتشارك الرؤيتان فى تقديم أحداث انحراف فطرة بنى إسرائيل ، فتأتى الرؤية متداخلة ، مما يساعد فى التوجيه النفسى لتلقى هذه الأحداث ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ(١٣٧)وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ(١٣٨) ﴾ .... (١٦٨) .

٢ـ فى سورة طه :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى(٩)إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى(١٠)فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى(١١)إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٢)وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى(١٣)إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي(١٤)إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى(١٥) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة فى اختيار موسى

للرسالة ، وفى تذكيره بنعم الله عليه ، وفى إرسال موسى إلى فرعون ، وكذلك فى استكبار فرعون و تكذيبه ، وحتى مع تغير الأصوات تظل الرؤية ثابتة ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(٤٩)قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى(٥٠) ﴾ وعندما يأتى الحديث عن الخلق ، والإماتة ، والبعث فإن الرؤية تتحول إلى الذاتية ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى(٥٣)كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى(٥٤)مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى(٥٥)وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى(٥٦) ﴾ ثم تعود الرؤية المحايدة من جديد لتنقل الحوار بين فرعون وموسى ، وبين موسى والسحرة ، وبين السحرة وأنفسهم ، وبينهم وبين فرعون (٥٧ ـ ٧٦) ثم يأتى إهلاك فرعون وجنوده معروضا من موقع خارجى ، ومنظور داخلى (رؤية محايدة ذاتية) ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى(٧٧)فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ(٧٨)وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى(٧٩) ﴾ ومن هنا تبدأ الرؤيتان فى التداخل ، مع إنجاء بنى إسرائيل ، ومع عرض التوائهم ، وضلالهم (٨٠ ـ ٩٨)

٣ ـ فى سورة الشعراء :

نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، حيث ينقل الحق تبارك وتعالى إلى محمد عليه الصلاة والسلام قصة موسى مع القوم الظالمين ، قوم فرعون ، من خلال نقل الحوار بين موسى وربه ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(١٠)قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ(١١)قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ(١٢) ﴾ ..... (١٧) وبين موسى وفرعون ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ(١٨)وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ(١٩)قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ(٢٠) ﴾ ..... (٣٣) وبين فرعون وقومه ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ(٣٤)يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(٣٥)قَالُوا أَرْجِهْ

وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(٣٦) ﴾ ..... (٤٠) وبين فرعون والسحرة ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ(٤١)قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(٤٢) ﴾ ..... (٥١) وتأتى الرؤية المحايدة الذاتية لتنقل خاتمة قصة فرعون ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ(٥٢)فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(٥٣)إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ(٥٤)وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ(٥٥)وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ(٥٦) ﴾ ومن خلال الرؤية الذاتية يتم تقديم النهاية الأليمة لفرعون وقومه ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ(٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(٥٨)كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ(٥٩) ﴾ ومن ثم تتداخل الرؤيتان الذاتية ، والمحايدة لنقل أحداث إهلاك فرعون وقومه ، وتكريم بنى إسرائيل ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ(٦٠)فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ(٦١)قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ(٦٢)فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ(٦٣)وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ(٦٤)وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ(٦٥)ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ(٦٦) ﴾ .

٤ ـ فى سورة القصص :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، وموجز للقصة يقدم بضمير الجماعة ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(٣)إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(٤)وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ(٥)وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ(٦) ﴾ ومن ثم ننتقل إلى الرؤية المحايدة الذاتية ، وعرض جانب من طفولة موسى ، منذ إلقائه فى اليم حتى إعادته إلى أمه ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا

رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ(٧)فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾ ..... (١٣) ومن ثم ننتقل إلى مرحلة أخرى من حياة موسى مع الرؤية الذاتية ، واستمرار تدخل الذات الإلهية بالعناية بموسى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٤) ﴾ وبعدها يسير الحكى من خلال الرؤية المحايدة ، ليعرض علينا تلك المرحلة الفاصلة ، الانتقال من الطفولة إلى النبوة ، وما فيها من الخروج إلى مدين (١٥ ـ ٢٩) وتستمر الرؤية المحايدة فى نقل اللقاء بين موسى وربه فى الوادى المقدس ، ذلك اللقاء الذى ينتهى به رسولا من الله رب العالمين إلى فرعون وملإه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٣٠)وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ ..... (٣٥) وتستمر الرؤية المحايدة كذلك فى نقل الحوار بين موسى وفرعون (٣٦ ـ ٣٨) إلى أن تأتى الخاتمة المتمثلة فى إهلاك فرعون وجنوده ، من خلال الرؤية الذاتية ، التى تتكفل دائما بعرض الأمور العظيمة ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ(٣٩)فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ(٤٠)وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ(٤١)وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ(٤٢) ﴾ .

ـ قصة موسى والعبد الصالح :

يفتتح الحكى مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات الشخصيات ؛ فنحن نبدأ الرحلة إلى مجمع البحرين مع صوت موسى وفتاه منقولا من خلال تقنية الرؤية المحايدة ، ذات الموقع الخارجى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا(٦٠)فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا(٦١) ﴾..... ويستمر السرد على هذا إلى أن تظهر الرؤية الذاتية ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ

مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا(٦٥) ﴾ ومن خلال خصوصية هذا العلم ، وتلك الرحمة ستكون أفعال العبد الصالح غير المبررة لموسى ظاهريا ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(٦٦)قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٦٧)وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(٦٨)قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(٦٩)قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا(٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا(٧١)قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٧٢)قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا(٧٣)فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا(٧٤)قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا(٧٦)فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا(٧٧)قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(٧٨)أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا(٧٩)وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا(٨٠)فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا(٨١)وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ولهذا نجد العبد الصالح لا ينسب شيئا من أفعاله لنفسه ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا(٨٢) ﴾ متدرجا بالضمير " فَأَرَدْتُ - فَأَرَدْنَا - فَأَرَادَ رَبُّكَ " : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ إلى ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وأخيرا ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ إنها إرادة الله الذى وهبه من علم الغيب ما رأى به نتائج أفعاله حين فعلها .

ـ قصة يوسف عليه السلام :

نبدأ القصة بالرؤية الذاتية ، حيث يخبر الله عز وجل نبيه محمدا أن القرآن يضم أحسن القصص ، التى لم يكن يعلم شيئا منها من قبل أن يُنزّل عليه ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ(٣) ﴾ هذه الرؤية تتوزع بعد ذلك فى أثناء القصة لتؤدى دورا مهما فيها ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٥) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(٢١)وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٢٢) ﴾ ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦) ﴾ ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ(٧٦) ﴾ ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ(١٠٢) ﴾ إنها كل الأحداث الفاصلة فى مجرى القصة ، التى تتحكم فيها قدرة قاهرة ، متصرفة كيف شاءت ...
ـ كلها تعرض من خلال الرؤية الذاتية ، وكلها بضمير الجمع الدال على العظمة .

إننا من أول السرد مع المنظور الداخلى ، سواء من خلال الرؤية الذاتية ؛ أو مع الرؤية المحايدة ، التى تعرض القصة من منظور شخصيات السرد ، اللهم إلا من بعض تعليقات سريعة تظل محتفظة بموقع خارجى ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ(٧) ﴾ ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ(١٦) ﴾ ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ(٢٠) ﴾ ﴿ وَرَاوَدَتْهُ

الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٤)ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ(٣٥) ﴾ ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ(٤٢) ﴾ ﴿ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٧) ﴾ ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ(٥٨) ﴾ .... وكلها تمثل خلفية هامة يستند إليها السرد ؛ وأهميتها ترجع إلى طبيعة المنظور الخارجى فيها ، حيث تقدم الأحداث من الخارج ؛ فيتم الإحاطة بجوانب كثيرة ، من خلال التعليقات السريعة الموجزة .

وقولنا : إن الرؤية المحايدة تؤول إلى الرؤية الذاتية ، يعنى أن صاحب الرؤيتين واحد ، وتغير الرؤية إن هو إلا إحدى تقنيات الأداء السردى فى القصص القرآنى ؛ ولذلك نلاحظ اتفاق الصوتين فى بعض الخصائص : أظهرها أن كليهما يوجد فى السرد كمفاصل رابطة للتحولات الكبرى فى مجرى القصة ، وربما تداخلت الرؤيتان بحيث يصعب الفصل بينهما ، وتمييز إحداهما من الأخرى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٥)وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ(١٦) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(٢١)وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٢٢)وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦)وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٧) ﴾ ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ

قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ(٧٦) ﴾ الشئ الوحيد الفاصل بينهما هو المنظور ، إن كان خارجيا فالرؤية محايدة ، وإن كان داخليا ـ لفاعل موجود فى السرد ـ فالرؤية ذاتية .

ولنتابع الآن الرؤية السردية للوحدات السردية ، التى تتوزع عليها قصة يوسف عليه السلام :

١ ـ الرؤيا (٤ ـ ٦) : يتم تقديمها داخليا بأصوات شخصيات السرد (يوسف الصبى وأبوه) وفيها يتم التركيز ـ لاعلى الرؤيا نفسها ، التى يحكيها يوسف فى إيجاز شديد لأبيه ، بل ـ على إخوة يوسف وموقفهم تجاهه ؛ فمن وجهة نظر الأب نرى جانب الكراهية من إخوة يوسف لأى خير يأتيه ، وليس ذلك عن أصالة فيهم ـ حب الأب لأبنائه ـ بل لأن الشيطان عدو الإنسان الأول لن يترك سبيلا لإيقاع العداوة والحسد من إخوته له إلا سلكه ؛ فخرج بذلك القصد ـ عن أن يكون كشفا لنفوس إخوة يوسف ـ لأن يكون كشفا لضعف النفس البشرية بعامة ، أمام غواية الشيطان . وبعد ذلك يتم التركيز على دلالة الرؤيا ، ومن ثم على نعمة الله على يوسف ، وعلى أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق .

٢ ـ حسد الإخوة (٧ ـ ١٨) : فى هذه الوحدة المؤطرة بالرؤية المحايدة ، نجد العرض فيها يأتى أساسا بصوت الإخوة أنفسهم ، يفكرون بعقل الشطان ، ويتحدثون بلسانه ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ(٩) ﴾ متوسلين إلى الخير غير المؤكد بالشر المؤكد . وفى هذه الوحدة نجد كذلك قلق الأب على ابنه معروضا بصوت الأب نفسه ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ(١٣)﴾ ونجد رحمة الله بيوسف ؛ حيث لم يتركه يقاسى وحشة الجب بل

أوحى إليه ما خفف عنه تلك الوحشة ، وكان هذا من خلال الرؤية الذاتية ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٥)﴾ فكأن كل صوت فى هذه الوحدة قد تكفل بعرض فعله بنفسه ، فى حيادية سردية .

٣ - يوسف عند عزيز مصر (١٩ ـ ٢٢) : نبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة ، وبداية التمكين ليوسف فى الأرض ، حيث عثر عليه السيارة ، وباعوه لمصرى زاهدين فيه ، ونختتمها مع الرؤية الذاتية ؛ تأكيدا لذلك التمكين ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ(٢١)وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٢٢) ﴾ .

٤ ـ محنة المراودة (٢٣ ـ ٣٤) : نبدأ الوحدة الرابعة مع الرؤية المحايدة ، وعرض تحولات العلاقة بين يوسف وامرأة العزيز من منظور خارجى ، ينتقل إلى الداخل مع صوت الشخصيات ، لكنه يتحول مرة أخرى إلى الرصد الخارجي للأحداث كما تجرى دون تدخل ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ(٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ لكن الرؤية تتحول إلى الذاتية التى لا تكتفى بالرصد بل بالوجود الفاعل فى الأحداث ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ(٢٤)﴾ وبذلك يتم عرض وقعة المراودة من الداخل ، ومن الخارج أيضا ، بما لا يدع مجالا للشك فى نقاء يوسف وبراءته ، وقدر الجهد الذى بذله فى سبيل الحفاظ على طهارته ، مع كل ما لاقى من أغراء ، وتهديد ؛ ونرى كذلك ضعف الزوج أمام سطوة زوجته وجبروتها ، ونراها هى الأخرى ولا قائد لها غير أهوائها وشهواتها . كل هذه الصور يتم التركيز عليها من الداخل حين تتكفل شخصيات السرد بالحكى ، ومن الخارج من خلال الرؤية المحايدة .

٥ ـ يوسف فى السجن (٣٥ ـ ٤٩) : نبدأ الحكى مع الرؤية المحايدة ، ويظل العرض داخليا بأصوات الشخصيات على طول الوحدة ، والتركيز هنا على علم يوسف الذى آتاه ربه ـ تأويل الأحاديث ـ ومن خلال يوسف ، يجرى التركيز على وحدانية الله ، التى حدث صاحبى سجنه طويلا عنها ، حيث كان بصدد تأويل رؤياهما .

٦ ـ براءة يوسف ، والتمكين له (٥٠ ـ ٥٧) : نبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة ، ونقل أصوات الشخصيات : طلب الملك ليوسف ، وسؤاله النسوة ، واعتراف امرأة العزيز ... ومن ثم تأكيد الملك على طلبه يوسف ؛ يستخلصه لنفسه ، ويجعله ـ كما أراد يوسف نفسه ـ على خزائن الأرض ؛ وهنا تأتى الرؤية الذاتية مؤكدة على تمام التمكين ليوسف فى الأرض ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٥٦)وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٧) ﴾ .

٧ ـ قدوم الإخوة (٥٨ ـ ٨٣) : تبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة ، وقدوم الإخوة ، وتعرف يوسف عليهم وهم له منكرون ، وتظهر أصوات الشخصيات تشارك فى الحكى : طلب يوسف لأخيه ، ومراودة الإخوة أباهم عنه ، ومن ثم اجتماعه بأخيه واستبقاؤه له عنده .

٨ ـ تأويل الرؤيا (٨٤ ـ ١٠١) : امتدادا للرؤية المحايدة ـ فى الوحدة السابقة ـ تأتى هذه الوحدة الخاتمة ، التى يتعرف فيها الإخوة على أخيهم ويعترفون بخطئهم ، وتجتمع الأسرة كلها : الأحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر يخرون له ساجدين تأويلا للرؤيا التى جعلها الله حقا ، ومن ثم تختتم كما بدأت ، بالرؤية الذاتية ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ(١٠٢) ﴾ .

- قصص سليمان عليه السلام :

١ ـ فى سورة ص :

ههنا يتم الحكى من خلال الرؤية الذاتية ، عن أوابية سليمان ، ومن ثم يتم تقديم تفاصيل تلك الأوابية مشاركة مع الرؤية المحايدة ، ونقل كلام سليمان الذى شغلته ذات مرة مشاهدة الخيل عن ذكر ربه ، فتخلص منها قربى إلى ربه ، ومن ثم كان سؤاله ربه أن يهبه ملكا ؛ فسخر له الريح ، والشياطين بدلا من الصافنات الجياد ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ(٣٠)إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ(٣١)فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ(٣٢)رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ(٣٣)وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ(٣٤)قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ(٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ(٣٦)وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ(٣٧)وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ(٣٨)هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٩)وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ(٤٠)﴾ ونلاحظ هيمنة الرؤية الذاتية ، ودلالتها على درجة القرب التى بلغها سليمان العبد الأواب .

٢ ـ فى سورة النمل :

ههنا أيضا نبدأ مع الرؤية الذاتية ، التى تترك الحكى للرؤية المحايدة ومن ثم لشخصيات السرد ؛ تعرض ملك سليمان ، ودوره فى الدعوة إلى الله ، فيأتى المنظور خارجيا ، وداخليا محيطا بجوانب هذا الملك ، وعارضا سلطان سليمان الممتد ، وفى هذا العرض كذلك تشارك أصوات مختلفة : من الجن ، والإنس ، والطير ، والنمل ..... ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ(١٥)وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(١٦) ﴾ .

٣ ـ فى سورة سبأ :

ههنا يرد الحديث مرة أخرى عن ملك سليمان الذى خصه الله به ، معروضا من خلال الرؤية الذاتية ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(١٢)يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣) ﴾ ثم يتحول موضوع السرد ، من خلال الرؤية ذاتها ، إلى وجهة أخرى ، حين يرد الحديث عن موت سليمان ، وجهل الجن بذلك ، ولبثهم فيما هم فيه من عمل شاق مدة من الدهر ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ(١٤) ﴾ .

ـ قصة ذى القرنين :

وفيها تهيمن الرؤية الذاتية ، بصورة واضحة ، فالأمر ههنا يختلف ؛ إذ لايأتى سرد القصة ابتداء ، بل يأتى ردا على سؤال متحد من أهل الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فكان الرد عليهم معروضا جميعه من الداخل ، من خلال تقنية الرؤية الذاتية ، وتلك القوة المتصرفة فى الأحداث بإرادتها ، ووفق مشيئتها ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا(٨٣)إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا(٨٤)فَأَتْبَعَ سَبَبًا(٨٥)حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾ (٩٩) الكهف .

- قصة أصحاب الكهف :

ونجد فيها كذلك هيمنة الرؤية الذاتية ، والسبب هنا هو نفسه فى القصة السابقة - قصة ذى القرنين - أن القصة جاءت ردا على سؤال لأهل الكتاب اختبارا لصدق نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، فكان الرد كاشفا عن قدرة قاهرة متصرفة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا(٩)إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا(١٠)فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا(١١)ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا(١٢)نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(١٣) ﴾ فليست قصة أصحاب الكهف ، مع كل ما فيها من عجائب ، بأعجب آيات الله ؛ وتستمر الرؤية الذاتية تعرض من الداخل تلك القدرة ، ويستمر ضمير الجمع الدال على العظمة فى توجيه الأحداث : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ﴾ ﴿ زِدْنَاهُمْ ﴾ ﴿ رَبَطْنَا ﴾ ﴿ نُقَلِّبُهُمْ ﴾ ﴿ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ ﴿أَعْثَرْنَا ﴾ ... ثم تأتى النقطة الأهم ، فى تحديد عددهم ، ومدة لبثهم فى الكهف ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا(٢٢) ﴾ فالله هو صاحب الوحى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(١١٠) ﴾ وهو أعلم بعدتهم على وجه التحديد ، ولكن هذا هو قول أهل الكتاب : ثلاثة - وخمسة - وسبعة رجما بالغيب . كما يرجمون بالغيب كذلك فى تحديد مدة لبثهم فى الكهف ، والله تعالى وحدة يعلم كم لبثوا فى كهفهم ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا(٢٥)قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا(٢٦) ﴾ إنها الرؤية الذاتية تعرض كل هذا عرضا مستقبليا لما سيكون من أهل الكتاب ، والله تعالى يضعه على لسان محمد علية

الصلاة والسلام ـ عبده الذى أنزل عليه الكتاب ﴿ ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا(١)قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا(٢) ﴾ .

ـ قصة قارون :

يبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، التى تعوضها الرؤية المحايدة ـ لعرض فتنة قارون بما أوتى من كنوز ـ ونستمع إلى حوار الشخصيات ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ(٧٦) ﴾ .... ثم تنفرد الرؤية الذاتية لتعرض هوان قارون وما يملك ، أمام تلك القدرة : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ(٨١) ﴾ وتبين أن الفوز فى الآخرة ، لا علاقة له بالجاه والمال ، وإنما هو فى ترك الكبْر والاغترار بالحياة الدنيا ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ(٨٣) ﴾ .

ـ قصة أصحاب الجنة :

نبدأالحكى مع الرؤية الذاتية ، التى تجمع فى الاختبار بين كفار مكة وأصحاب الجنة ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ تعوضها الرؤية المحايدة الذاتية ، التى يتم استعادة خبر أصحاب الجنة من خلالها ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧)وَلا يَسْتَثْنُونَ(١٨)فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩)فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠)فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(٢١)أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ(٢٢)فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣)أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ

عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤)وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥) ﴾ وهنا مع الرؤية المحايدة يأتى عرض تلاومهم وندمهم على ما كان منهم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦)بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ(٢٨)قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩)فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ(٣٠)قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١)عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢)كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣) ﴾ وإن مثلهم لكفار مكة ، أنعم الله عليهم بمحمد ورسالته ، فكذبوه وحاربوه .

- قصة ابنى آدم :

نفتتح الحكى بالرؤية الذاتية ، والتأكيد على أن ما يذكر هو الحق الذى لا لبس فيه ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ ثم تأخذ الرؤية المحايدة فى إكمال الحكى ؛ فتعرض فضيلة الخير لدى أحدهما ، وروح الشر المتسلطة على الآخر ، من خلال حكاية القربان المتقبّل من أحدهما ، وغير المُتقبل من الآخر ﴿ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ(٢٧)لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(٢٨)إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ(٢٩)فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٣٠) ﴾ ثم يتحول الموضوع المعروض ليصير هو ندم القاتل الذى عجز أن يكون مثل الغراب فيما رأى منه ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(٣١) ﴾ ثم تعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا

فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ(٣٢) ﴾ .

- قصة صاحب الجنتين :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ، ووصف العطاء الجزل الذى أعطيه صاحب الجنتين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا(٣٢)كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣)وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ومع أصوات شخصيتى السرد ، ومن خلال الرؤية المحايدة ، تعرض عاقبة حب الدنيا و الاغترار بزينتها ، والكفران بنعمة الله ، وما فى ذلك من خسران مبين فى الدنيا والآخرة ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا(٣٤)وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا(٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا(٣٦)قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا(٣٧)لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا(٣٨)وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا(٣٩)فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا(٤١)وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا(٤٢)وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا(٤٣) ﴾ .

ـ قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام :

١ ـ فى سورة مريم :

نبدأ الحكى مع الرؤية الذاتية ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا(١٦)فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا(١٧) ﴾ تعوضها الرؤية المحايدة ، ونسمع أصوات الشخصيات ، فى الحوار بين مريم والملك ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا(١٨)قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا(١٩)قَالَتْ ﴾ ..... (٢١) ثم فى كلام عيسى لها ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا(٢٤)وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا(٢٥)فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا(٢٦) ﴾ مؤكدا لها وقوف قوة قاهرة إلى جانبه ، تؤيده بالمعجزات ، قوة تملك الأشياء ووظائفها ؛ ليسكن قلبها وتطمئن ، حتى إذا أتت به قومها تحمله ، كانت مطمئنة إلى رعاية الله لها ولولدها . وهنا يأتى حوار عيسى وقومه من خلال الرؤية المحايدة ﴿ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا(٢٧)يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا(٢٨)فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا(٢٩)قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٣٠)وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا(٣١)وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا(٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣) ﴾ .

٢ ـ فى سورة الأنبياء :

يأتى الحكى ههنا من خلال الرؤية الذاتية فحسب ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ(٩١) ﴾ .

٣ - فى سورة آل عمران :

ههنا تهيمن على القصة تقنية الرؤية المحايدة ، ويُقدم لنا الحكى بأصوات الشخصيات ، منذ أن نذرت امرأة عمران ما فى بطنها لله ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٥) ﴾ ..... (٣٦) ودخول مريم فى كفالة زكريا ، ورؤيته ما كان منها ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣٧)هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ(٣٨)فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ ..... (٤١) واصطفاء مريم ، وتبشيرها بعيسى ، ودعوة عيسى بنى إسرائيل ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ(٤٢) ﴾ ..... (٥٤) وتتخللها لقطات سريعة تعرض من خلال الرؤية الذاتية ، تتدخل فيها القدرة الإلهية ، كإخبار محمد أنه لم يكن ليعرف هذه القصة إلا بالوحى ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ(٤٤) ﴾ .

ـ خصائص الرؤية السردية فى القرآن الكريم :

من خلال ما مر بنا ، نعاين هيمنة الرؤية المحايدة على الحكى ، فى القصص القرآنى ، وفى هذه التقنية ، يتم تنظيم الحكى من موقع خارجى ، بينما تُترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل ، مما يعطى انطباعا للمتلقى بصدق ما يتلقى ، حين يجد نفسه مشاركا فى الحكى بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجرى من حوار . تتجلى هذه الرؤية فى وظيفة الدعوة ، من قصص الأنبياء ، وما يصاحبها من جدل التكذيب ، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة ، كعلاقة الرسول بقومه ، ومنهجه فى دعوتهم ، وهدفه

منها ..... وكل هذا يجرى أمام عينى المتلقى من خلال الرؤية المحايدة ، فيرى بموضوعية ، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى ، وأن يجنب كل حكم للهوى ، أو للعادة .

ويظهر كذلك ، وإن بصورة أقل ، تقنية الرؤية الذاتية ، التى تُلحق دائما بنا الفاعلين الدالة على العظمة ، ومن خلالها يتم حكى الأحداث الفاصلة فى القصص ، والتى تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة ، كالخلق ، وإرسال الرسل ، وإنجاء المؤمنين ، وإهلاك الكافرين ..... وقد رأينا مثلا فى القصص الأول ، حيث تبدأ قصص الأنبياء دائما مع سورة القمر ، كلها بالرؤية الذاتية ، تعرض نماذج لأمم كذبت قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين فى الدنيا قبل الآخرة ، فلتحذر أمة محمد أن تكذب هى الأخرى بالنذير ، فهى أمة كالأمم التى توالى سرد ما حاق بها من عذاب ، ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية الذاتية أثره البين فى النفس ، فالمتكلم هو الفاعل ، ولن يكلفه الأمر شيئا : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وعاد وثمود وقوم لوط ، وآل فرعون ..... ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(١١)وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢) ..... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(١٩)تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠) ..... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣١) ..... وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨) ..... كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ(٤٢)أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ(٤٣) ﴾ .

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة ، وهى تتخلل القصص القرآنى ، ومن اسمها فهى تجمع بين الرؤيتين السابقتين ، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها ، وشكلها الأمثل ، حيث ينقل الحق سبحانه وتعالى قوله من خلال ضمير العظمة الذى يأتى فاعلا فى القصة والسرد على السواء

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وهى قليلة وتأتى غالبا تمهيدا للرؤية المحايدة أوفى أعقابها .

والرؤية المحايدة الذاتية ، وهى على عكس السابقة ، تغلب فيها الرؤية المحايدة ، وتتمثل فى نقل معنى الكلام لا نصه ، كما فى قوله تعالى ، فى قصص لوط عليه السلام من سورة الحجر ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ(٦٦) ﴾ .

وثم ملاحظة نلفت إليها ، تتمثل فى تداخل الرؤيات الذى مر بنا فى بعض المواضع فى القصص القرآنى ، مثل ذلك القسم الخاص ببنى إسرائيل ، فى قصص موسى عليه السلام ، من سورتى الأعراف (١٣٨ ـ ١٦٨) وطه (٨٠ ـ ٩٨) فلعل هذا التداخل يأتى بقصد التوجيه النفسى للمتلقى ؛ مما يناسب ما يؤديه هذا القسم من عرض لانحراف بنى إسرائيل وفساد طبيعتهم .

خاتمة

وبعد ، وقد وصل بنا البحث إلى نهايته ، فإننا نستطيع القول إن ثمة ملاحظات توصلنا إليها بحثا عن الخصائص المميزة للقصص القرآنى ، وفيما يلى نستعيد أهم تلك الخصائص :

أولا - من خلال دراستنا للمتن القصصى رأينا ، أن هناك قصصا يرد أكثر من مرة فى مواضع مختلفة من الكتاب الحكيم ، وآخر يرد ذكره مرة واحدة فقط ، وأن النوع الأول يأتى فى كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف ، كما رأينا فى قصص : آدم ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى ... وفيها جميعا ، نجد نواة وظيفية تتكرر ، فيما عدا قصص آدم الذى يمثل مقدمة وسببا فى وجود هذه النواة : نقرأ فى ختام قصة آدم من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨)وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٣٩) ﴾ ثم تتوالى القصص بعد ذلك : يأتى الهدى من الله ؛ فيتبعه الناجون ، ويكذب به الهالكون . ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التى انبنى عليها جميع القصص التالى :

١ - الدعوة إلى عبادة الله وحده .

٢ - الرفض والاستكبار .

٣ - نجاة المؤمنين ، وإهلاك الكافرين .

هذه البنية تقابلنا فى كل مرة فى القصص المذكور ، تتغير الشخصيات ، بينما تظل وظائفها ثابتة : تظل الدعوة ، ويظل التكذيب ، وتظل العاقبة ... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها ، كلما كانت فترة نسى فيها الإنسان عداوة الشيطان ، ووعيده القديم .

غير أن الهدف الذى تأتى من أجله القصة - من قصص النبى الواحد - يجعلها تختلف ، فى كل مرة ، فى بنيتها الوظيفية فيكون التركيز على وظائف دون غيرها ، ويكون بحضور وظائف

أو غياب أخرى ؛ مما يؤثر فى متتالية الوظائف ؛ فيجعلها بالتالى قصة جديدة فى كل مرة كما مر بنا من قبل .

وأما القصص مفرد الذكر فى القرآن ، فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه ، تماسكا منطقيا ، وزمنيا فى الوقت ذاته ، بحيث تقوم كل وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطى تسلسلى ، غالبا ، وكل وظيفة لها دورها الذى يحدده السياق .

ثانيا - من خلال دراسة البنية الزمنية فى القصص القرآنى ، رأينا كيف يهيمن المشهد الحوارى على السرد القصصى القرآنى . وكيف أنه يتكفل بعرض الأحداث الرئيسية كما رأينا فى قصص الأنبياء من أن وظيفتى : الدعوة والتكذيب تأتيان دائما على هيئة مشهد حوارى ، وهما الوظيفتان الأكثر أهمية فى القصص القرآنى باعتباره وسيلة من وسائل الدعوة ، وللمشهد الحوارى خصائص تتمثل فى التحام الزمن القصصى بالزمن السردى ؛ فيصير بذلك حاضر السرد هو حاضر الأحداث ، ويصبح المتلقى مشاهدا يعاين الأحداث بنفسه ويعيشها لحظة بلحظة . وقد رأينا كيف يتناوب الحذف ، والإيجاز ، والمشهد الوجود فى القصص ؛ الحذف يتخطى أحداثا لا يحتاجها الموقف القصصى ، والإيجاز يعرض للأحداث عرضا سريعا مجملا لأهمية ذكرها فى السياق ولكن فى غير تفصيل ، كما فى وظيفة الإهلاك والإنجاء ، فى قصص الأنبياء ، التى تأتى - غالبا - موجزة ؛ فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل ، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة .

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمنى القصة والسرد ، فكثيرا ما تبدأ القصص باستباق ، يهىء نفس المتلقى ، ويوجه توقعاته ، كما رأينا فى قصص آدم عليه السلام ؛ حيث هناك الاستباق الإعلانى الذى يتصدر أكثر القصص ، وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين ، وما يلى بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق ، كما رأينا من رفض إبليس

السجود لمخلوق طينى وما كان من نتائج هذا الرفض . وحين تبدأ قصة آدم فى سورة طه باستباق داخلى عن نسيان آدم ، فإن السرد يسير على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم . وكما رأينا أيضا فى قصص سورة القمر ، التى تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة ، الذى كان دائما تكذيب قوم نبى من الأنبياء .

والاستباق المختلط فى القصص القرآنى له خصوصيته التى تتمثل فى انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل فى القيامة ، كما فى قصة آدم من سورة طه : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى(١٢٤)قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا(١٢٥)قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى(١٢٦) ﴾ أو كما نرى فى قصة ذى القرنين من سورة الكهف : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا(٩٨)وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا(٩٩) ﴾ .

والاسترجاع كذلك يقابلنا فى القصص القرآنى ، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذى يبدأ به أكثر القصص ؛ فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم فى قصة هود عليه السلام من سورة هود : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ(٦٠) ﴾ وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية ؛ وهذا راجع أولا ـ لطبيعة صاحب الخطاب عز وجل عالم الغيب والشهادة ؛ وثانيا ـ لطبيعة القصة القرآنية التى هى وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة .

وقد لاحظنا أن القصة القرآنية ، لوجودها فى فضاء النص القرآنى ، تخضع لزمنيتين مختلفتين : تتعلق الأولى بزمن القصة القرآنية ، والثانية بزمن النص القرآنى ، زمن القصة الذى يبدأ مع الدخول الفعلى فى عالمها ، وزمن النص القرآنى الذى يحيط بزمن القصة ، ويحتويه ،

ويمكن أن نعده زمنا حاضرا للسرد ، أو زمنا أول ؛ تقاس المفارقات الزمنية الكبرى بالنسبة إليه ؛ فالقصة بكاملها تكون استرجاعا أو استباقا حين تتعلق بهذا الحاضر الزمنى للنص ، كما رأينا مثلا فى قصة أصحاب الجنة : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧) ﴾ أو فى قصص سورة القمر : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ وفى غيرها .

ثالثا ـ من خلال دراسة الصيغة السردية فى القصص القرآنى ، لاحظنا هيمنة صيغة المنقول المباشر ، على الحكى ، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول الوارد ، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة فى القصص ؛ ففى قصص آدم عليه السلام ، تأتى الوحدة السردية الأولى ، وهى إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم ـ دائما ـ فى صيغة الخطاب المنقول المباشر ، التى تحمل إلينا حوار الله والملائكة فى هذا الشأن ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(٣٠) ﴾ ودائما يأتى الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب ، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ فى سور : ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة (٣٠) . يلى هذه الوحدة الوحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التى تأتى بالصيغة نفسها ، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة ، ودائما بالصيغة الواحدة التى لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ فى سور : طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة بالصيغة ذاتها ، لتعرض طاعة الملائكة ، واستكبار إبليس ، وامتناعه عن السجود ، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله ، الذى يأتى فى صيغة المنقول المباشر ؛ لأهميته الشديدة ، لافى قصة آدم فحسب ، وإنما ، كما قلنا من قبل ، فى قصة الحياة بصفة عامة .

وفى قصص الأنبياء ، نجد دائما وظيفتى الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة (المنقول المباشر) بعد أن يتم التحضير لهما بصيغة الخطاب المسرود . ففى الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٨٥) الصيغة دائما واحدة ، والدعوة أيضا واحدة . وهذا أيضا ما نجده فى سورة هود ، وفى سورة الشعراء ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(١٠٥)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٠٦)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٠٧) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ(١٢٣)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٢٤)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٢٥) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ(١٤١)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٤٢)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٤٣) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ(١٦٠)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٦١)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٦٢) ﴾ ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ(١٧٦)إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ(١٧٧)إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٧٨) ﴾ هذا الاتحاد فى الصيغة الكلية للدعوة ، بل فى كلمات الدعوة ، يجعلنا وكأننا أمام نبى واحد ، ورسالة واحدة ، وهى كذلك حقا ، وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨) ﴾ البقرة - يتردد ما دامت السماوات والأرض ، وما زال الهدى يأتى من الله ، فمن تبعه نجا وسلم .

رابعا ـ من خلال دراسة الرؤية السردية فى القصص القرآنى ، نلاحظ هيمنة الرؤية المحايدة على الحكى ، فى القصص القرآنى ، وفى هذه التقنية ، يتم تنظيم الحكى من موقع خارجى ، بينما تُترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل ، مما يترك انطباعا لدى المتلقى بصدق ما يتلقى ، حين يجد نفسه مشاركا فى الحكى بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجرى من حوار . تتجلى

هذه الرؤية فى وظيفة الدعوة ، من قصص الأنبياء ، وما يصاحبها من جدل التكذيب ، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة ، كعلاقة الرسول بقومه ، ومنهجه فى دعوتهم ، وهدفه منها ..... وكل هذا يجرى أمام عينى المتلقى من خلال الرؤية المحايدة ، فيرى بموضوعية ، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى ، وأن يجنب كل حكم للهوى ، أو للعادة .

ويظهر كذلك ، وإن بصورة أقل ، تقنية الرؤية الذاتية ، التى تُلحق دائما بنا الفاعلين الدالة على العظمة ، ومن خلالها يتم حكى الأحداث الفاصلة فى القصص ، والتى تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة ، كالخلق ، وإرسال الرسل ، وإنجاء المؤمنين ، وإهلاك الكافرين ..... وقد رأينا مثلا فى القصص الأول ، حيث تبدأ قصص الأنبياء دائما مع سورة القمر ، كلها بالرؤية الذاتية ، تعرض نماذج لأمم كذبت قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين فى الدنيا قبل الآخرة ، فلتحذر أمة محمد أن تكذب هى الأخرى بالنذير ، فهى أمة كالأمم التى توالى سرد ما حاق بها من عذاب . ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية الذاتية أثره البين فى النفس ، فالمتكلم هو الفاعل ، ولن يكلفه الأمر شيئا : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وعاد وثمود وقوم لوط ، وآل فرعون ..... ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ(١١)وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢) ..... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(١٩)تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠) ..... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣١) ..... وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨) ..... كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ(٤٢)أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ(٤٣) ﴾ .

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة ، وهى تتخلل القصص القرآنى ، ومن اسمها فهى تجمع بين الرؤيتين السابقتين ، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها ، وشكلها الأمثل ، حيث ينقل الحق سبحانه وتعالى قوله من خلال ضمير العظمة الذى يأتى فاعلا فى القصة والسرد على السواء ﴿ وَإِذْ

قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وهى قليلة وتأتى غالبا تمهيدا للرؤية المحايدة أوفى أعقابها .

والرؤية المحايدة الذاتية ، وهى على عكس السابقة ، تغلب فيها الرؤية المحايدة ، وتتمثل فى نقل معنى الكلام لا نصه ، كما فى قوله تعالى ، فى قصص لوط عليه السلام من سورة الحجر ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ(٦٦) ﴾ .

وثم ملاحظة نلفت إليها ، تتمثل فى تداخل الرؤيات الذى مر بنا فى بعض المواضع فى القصص القرآنى ، مثل ذلك القسم الخاص ببنى إسرائيل ، فى قصص موسى عليه السلام ، من سورتى الأعراف (١٣٨ ـ ١٦٨) وطه (٨٠ ـ ٩٨) فلعل هذا التداخل يأتى بقصد التوجيه النفسى للمتلقى ؛ مما يناسب ما يؤديه هذ القسم من عرض لانحراف بنى إسرائيل وفساد طبيعتهم .

معجم المصطلحات

التبئير (Focalisation) : وضعه Genette بديلا لمصطلح وجهة النظر تحاشيا لمضمونه البصرى ، مستعيرا إياه من علم الفيزياء ، ويعنى إلقاء الضوء ، من موقع ما ، على نقطة معينة لإبرازها والكشف عنها .

التواتر السردى (Fréquence) : يتمثل فى علاقات التكرار بين القصة والسرد (بين عدد مرات وقوع الحدث فى القصة وعدد مرات روايته فى النص) .

الحذف (Ellipse) : هو أحد الحركات السردية التى تمثل الإيقاع الزمنى ، ويمثل أقصى سرعة يمكن أن يسير بها السرد ، حيث يتخطى أحداثا بكاملها .

الخطاب (Discours) : هو طريقة تقديم القصة .

الخطاب المحول (Discours transposé) : وفيه يقوم السارد بدمج أقوال الشخصيات فى خطابه ، ويعبر عنها بأسلوبه الخاص .

الخطاب المسرود (Discours narrativisé) : هو التقديم الموجز لمحتوى حدث كلامى .

الخطاب المنقول (Discours rapporté) : وفيه يقوم السارد بنقل نص حوار الشخصيات .

الاسترجاع (Analepse) : هو استحضار أحداث ماضية ، لإضاءة جوانب مهمة فى حاضر السرد .

الرؤية مع (Vision Avec) : وهنا تتساوى معرفة الراوى بمعرفة الشخصيات الروائية فى تقديم الأحداث .

الرؤية من الخارج (Vision du dehors) : وهنا تكون معرفة الراوى أقل من معرفة الشخصية الروائية .

الرؤية من الخلف (Vision par derrière) هنا تكون معرفة الراوى كلية (الراوى العليم ، الذى يعرف كل شىء عن شخصياته) .

الاستباق (Prolepse) : هو استحضار أحداث لاحقة ، إعدادا للمتلقى لتوجه معين ستأخذه الأحداث فيما بعد .

السرد القصصى (Récit) : هو الخطاب الشفاهى أو المكتوب الذى يقدم القصة .

سعة المفارقة (Amplitude) : هى المدة التى تستغرقها المفارقة الزمنية .

الشعرية (Poétique) : هى النظرية العامة للأشكال الأدبية . وهدفها معرفة القوانين التى تنظم ولادة العمل الأدبى وتسمه بسمات نوعية خاصة ، ومن هنا فهى لا تهتم بالعمل الأدبى وإنما بأدبية هذا العمل .

الصيغة (Mode) : تعنى الشكل الذى ينتظم فيه الخبر السردى .

علم السرد (Narratologie) : مصطلح وضعه T. Todorov عام ١٩٦٩ ، وهو علم يهتم بمكونات البنية السردية .

القصة (Histoire) : هى مجموع الأحداث المحكية بواسطة سرد ما .

المجمل (Sommaire) : من حركات الإيقاع الزمنى ، وفيه تعرض الأحداث موجزة دون تفاصيل .

مدى المفارقة (Portée) : هى المسافة التى تقطعها المفارقة الزمنية بعيدا عن حاضر الإنجاز السردى .

المشهد (Scène) : من حركات الإيقاع الزمنى ، ويأتى غالبا على هيئة حوار ، وفيه تترك الأحداث تتوالى بنفسها دون تدخل السارد .

المفارقات الزمنية (Anachronies) : هى أشكال التنافر المختلفة بين ترتيب القصة وترتيب الحكاية .

الوظائف (Fonction) : مصطلح اقترحه بروب ليعبر عن فعل شخصية ما محددا من وجهة نظر دلالته داخل جريان الحبكة .

الوقفة الوصفية (Pause) : من حركات الإيقاع الزمنى ، وتمثل السرعة الدنيا التى يمكن أن يسير بها سرد ما .

المصادر والمراجع

أولا ـ القرآن الكريم .

ثانيا ـ الكتب العربية والمترجمة :

ابن الأثير : المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٩.

أمينة رشيد : تشظى الزمن فى الرواية الحديثة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ .

بيرسى لبوك : صنعة الرواية . ترجمة عبد الستار جواد ، دار الرشيد للنشر ، ط١، ١٩٨١.

تزفيتان تودوروف : الأدب والدلالة . ترجمة محمد نديم خشفة ، سوريا ، ط١، ١٩٩٦.

جيرار جنيت : خطاب الحكاية ، بحث فى المنهج . ترجمة : محمد معتصم ، وعبد الجليل الأزدى ، وعمر حلى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٧.

حازم القرطاجنى : منهاج البلغاء وسراج الأدباء . تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، بيروت ، ط٢، ١٩٨١.

روجر هينكل : قراءة الرواية . ترجمة صلاح رزق ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٥.

الزركشى : البرهان فى علوم القرآن . تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط٢، ١٩٥٧.

زكريا إبراهيم : مشكلة البنية . طبع مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

سعيد يقطين : تحليل الخطاب الروائى . المركز الثقافى العربى ، ط١، ١٩٨٩.

سيزا قاسم : بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

سيد قطب : التصوير الفنى فى القرآن . دار الشروق ، ط١١ ، ١٩٨٨ .

الشكلانيون الروس : نظرية المنهج الشكلى . ترجمة إبراهيم الخطيب . مؤسسة الأبحاث العربية ، ط١ ١٩٨٢.

شلوميت ريمون كنعان : التخييل القصصى : الشعرية المعاصرة . ترجمة لحسن أحمامة ، دار الثقافة (الدار البيضاء) ط١ ١٩٩٥.

صلاح فضل : أساليب السرد فى الرواية العربية . القاهرة ، ١٩٩٥ .

: بلاغة الخطاب وعلم النص . الكويت ، ١٩٩٢.

ابن كثير : قصص الأنبياء ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٩٨١.

محمد سويرتى : النقد البنيوى والنص الروائى . الدار البيضاء ١٩٩١ .

محمد عبد المطلب : البلاغة العربية ، قراءة أخرى . القاهرة ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٧ .

: مناورات الشعرية . دار الشروق ، ط١ ، ١٩٩٦ .

: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانى . القاهرة ، لونجمان ، ط١، ١٩٩٥ .

محمد غنيمى هلال : النقد الأدبى الحديث . دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧.

نبيلة إبراهيم سالم : نقد الرواية ، من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة . النادى الأدبى ، الرياض ١٩٨٠ .

أبو هلال العسكرى : كتاب الصناعتين . تحقيق : على محمد البجاوى ، ومحمد أبى الفضل إبراهيم ، بيروت ، ١٩٨٦.

يمنى العيد : تقنيات السرد الروائى ، فى ضوء المنهج البنيوى . دار الفارابى ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .

يوسف حسن نوفل : الفن القصصى بين جيلى طه حسين ونجيب محفوظ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ .

: فى القصة العربية . كتابات نقدية ، القاهرة ، ١٩٩٢ .

ثالثا ـ الكتب الأجنبية :

Gérard Genette : Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972

: Nouveau discours du récit, éd.du Seuil, coll. Poétique, 1983 .

Jean-Michel Adam : Le récit, Paris, Que sais-je, 1999 .

Jean Pouillon : Temps et roman, Paris, Ed. Gallimard, 1993 .

Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer : Nouveau dictionnaire Encyclopédique des science du langage, Paris, éd. du Seuil, coll. Points, 1995 .

Roman Jakobson : Huit questions de poétique, tr. Fr. Paris, Ed. du Seuil, coll. Points, 1977 .

Tzvetan Todorov : Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2, Poétique, Paris, Ed.du Seuil, Coll. Points, 1968 .

Vincent Jouve : La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999.

Vladimir Propp : Morphologie du conte, Traduction française, Paris, Ed.du Seuil, coll. Points, 1970 .

Yves Reuter : introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod, 1996 .

رابعا ـ الدوريات العربية :

بول بيرون : السردية ، حدود المفهوم . ترجمة عبد الله إبراهيم ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد الثانى ، السنة ١٢ ، ١٩٩٢ .

جان ايف تادييه : الشكليون الروس . ترجمة قاسم المقداد ، مجلة المعرفة ، سوريا ، السنة ٣٠ ، العدد ٣٣٢ مايو ١٩٩١.

روجر سلفرستون : فى السرد (من وجهة نظر بروب وغريماس وليفى شتراوس) ترجمة كاظم سعد الدين ، مجلة الثقافة الأجنبية ، العدد الثانى ، السنة ١٢ ١٩٩٢ .

عبد العالى بوطيب : إشكالية الزمن فى النص السردى . مجلة فصول العدد الثانى ، المجلد الثانى عشر ، ١٩٩٣.

علوط محمد : التواتر السردى فى الخطاب الروائى . مجلة الكرمل ، العدد ٢٨ ، ١٩٨٨ .

محمد عبد المطلب : تداخلات الرؤية والسرد والمكان فى رواية هالة البدرى " منتهى" مجلة فصول العدد الرابع " خصوصية الرواية العربية جـ٢" ١٩٩٨ .

ميشيل فوكو : البنيوية والتحليل الأدبى . ترجمة محمد الخماسى ، مجلة العرب والفكر العالمى ، بيروت ١٩٨٨ .

ويليام هاندى : نحو نقد شكلى للرواية . ترجمة عيسى العاكوب ، مجلة شئون أدبية ، السنة الثانية ، العدد٦ ، الإمارات ١٩٨٨.

خامسا ـ الدوريات الأجنبية :

Mieke Bal : Narration et focalisation, pour une théorie des instance du récit, Poétique n°29.éd. du Seuil, Paris, 1977 .

Roland Barthes : Introduction à L'analyse structurale des récits , Communications n°8, éd .du Seuil, coll.Points,1981

Pierre Vitoux : Le jeu de la focalisation, Poétique n°51. Paris, éd.du Seuil, 1982 .

Tzvetan Todorov : Les catégories du récit Littéraire, Communicati-ons n°8, éd . du Seuil, coll. Points, 1981 .

فهرس

